قِصَّتي مع أثاثِ البَيْت

وقفات تربوية.. وحوارات إيمانية

تأليف:

إيمان مغازي الشرقاوي

تقديم:

الشيخ جمال الدين الشرقاوي

دار البشير

الإهداء

* إلى زوجي الكريم -حفظه الله- الذي أدين له بعد الله تعالى بكتابة هذه السطور وظهورها إلى عالم الشهادة ..

* وإلى والديّ - يرحمهما الله- وقد ربياني على النظر في ملكوت الله والتفكر فيه..

* وإلى أولادي الأحباب عسى أن يتخذوا من التفكر ديدنًا لهم في حياتهم..

* وإلى إخوتي وأخواتي وقد عشنا معًا تحت سقف واحد في بيت الأسرة حينًا من الدهر ومارسنا معًا عبادة التفكر في مخلوقات الله عز وجل..

* إلى أهلي وأحبابي.. وإلى كل إنسان على هذه الأرض يعيش في ملك الله ويتقلب في نعمائه وتغمره آياته وتحيط به من كل جانب عله يعي وينظر ويتفكر..

* إلى هؤلاء جميعًا أهدي هذه الكلمات.. والله هو الهادي إلى سواء السبيل..

إيمان مغازي الشرقاوي..

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتـــــاب: قصتي مع أثاث البيت
التـــــــــأليف: إيمان مغازي الشرقاوي
الصف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية
عدد الصفحـــات: 200
عـــدد الطبعات: (الطبعة الأولى 2011)
التوزيع النشـــر : دار البشير للثقافة والعلوم طنطا– مصر
تليفون : 0167467492 - 0162836461
darelbasheer@hotmail.com
dar_elbasheer@yahoo.com
الإيداع القانوني : 2010/13991
الترقيـــم الدولي : I.S.B.N.978/977/384/9

دار البشير للثقافة والعلوم

1432 هـ
2011 م

تقديم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام:103]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:8] .. وهبنا السمع والأبصار ودعانا إلى النظر والاعتبار..

والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الأطهار وصحبه الأخيار من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،،

أيها القارئ الكريم لقد كان لهذا الكتاب الفريد معى قصة ماتعة ولطيفة..

كان اليوم يوم جمعة.. وبعد إلقاء خطبة الجمعة ذهبتُ لافتتاح دورة تعليمية بمسجد آخر بعد صلاة العصر، وامتد الوقت حتى قبيل المغرب، وهمس فى أذنى أحد الدعاة لقد نسينا حفل عرس لابن أخينا فلان –أحد الدعاة– فانتقلنا على عجالة من الأمر فأدركنا صلاة المغرب حيث اللقاء فى مسجد آخر، ثم بدأ الحفل وقدمت إلى إلقاء كلمة الحفل ولم أستجمع بعد أفكارى خاصة بعد طول الكلام في صلاة الجمعة، ثم افتتاح الدورة بمحاضرة استغرقت أكثر من ساعة، ثم الآن المطلوب أن أتحدث فى حفل العرس وأنا أحب أن يكون الكلام فى موضوع جديد ومفيد حتى لا يملنى السامعون من كثرة ما نردد فى الحفلات والمحاضرات، وعندما أمسكت مكبر الصوت (**الميكروفون**) لإلقاء الكلمة وحمدت الله وصليت على رسوله أدركتنى عناية الله وأنا لا أدرى ماذا أقول وهم ينتظرون كلمتى، ومما زاد من الصعوبة أن الذى قدمنى للكلمة سامحه الله وصفنى وصفاً جعل الناس ينظرون إليّ وكأنهم ينتظرون أديب العربية **"الرافعي"** رحمه الله وواعظ الآفاق **"ابن الجوزى"**– رحمه الله– .

فألهمنى الله أن أقول:

حديثى اليوم معكم عن كتاب جديد وفريد، بل لم يسبق إليه فى بابه فى عصرنا كتاب يفتح آفاق التأمل لكل شيء داخل بيتك، بل يجعل من كل شئ بالبيت وما يتعلق به صديقاً حميماً وواعظاً شفيقاً وناصحاً أميناً وجليساً صالحاً! وأعجب ما فى هذا الكتاب أنه يجعل المرء يشعر أن أثاث منزله صار شخوصاً تحادثه وتجاذبه، تناديه حيناً وتهمس فى أذنه حيناً وتشد أذنه حيناً وتصرخ فيه حيناً!

فيرى المفتاح لا يفتح له الباب فقط بل يذكّره بأن مفاتح الرزق بيد الله ومفاتح الغيب لا يعلمها إلا الله، وأن الجنة لا تفتح إلا بـ **(لا إله إلا الله)** وأن من عباد الله من هم مفاتيح للخير ومنهم من هم مفاتيح للشر.

ويرى الزوج -البعيد عن أولاده وزوجته- فى المدفأة تشع بالدفء والحرارة فيعيد النظر فإذا به يرى أن أولاده و بيته أولى به ليشع بالحنان والدفء الأسرى فيملأ به أركان بيته.

وترى الزوجة فى الغسالة أنها ليست هى الآلة التى تنظف الملابس فقط بل ترى فيها واعظاً ينصح أن نظافة الباطن التى يطّلع عليها الخالق وحده أهم من نظافة الظاهر الذى يطلع عليه الخلق، وتهمس في أذن الزوجة محذرة من غسيل العقول ومحاولة تشويه جمال الإسلام وإلصاق التهم به ومحاولة ذوبانه فى غيره أو إزالته من القلوب.

وقد يلتفت البصر إلى سجادة الصلاة فكأنما ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴾ [العلق:19] ومقرأته تقول له إن أول ما نزل من الوحي العظيم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:1] فأين أنتم يا أمة الإسلام من القراءة.

ومكتبة وأقلام تذكّر من ينظر إليها بمجد أمتنا يوم أن وعت ﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم:1] و ﴿هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:9] و ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:28] .

وهذه ساعة تذكّر ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج:7] .

وهذه ستارة تتحرك أمام ناظريك قد تخفى ما وراءها من أفعالك لكن المخبوء قد يظهر يوماً فتذكّر ستر الله عليك، وتذكّر حين يظهر المستور ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾ [الطارق:9،10]. ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:19].

وتلك المرآة وقفت فتاتنا أمامها تتزين فإذ بيد من المرآة تكاد تخرج خُيِّلَ إليها أنها تشد أذنها تقول لها لمن تتزينين؟ ألزوجك فتؤجرين أم لغيره فتندمين ولو بعد حين؟ وقد يذكّرك رؤية المشيب في هذه المرآة بأن كل ما هو آت قريب.

وهناك الكثير والكثير والكثير من الكبير إلى الصغير، ومن مهد طفلنا الرضيع ولعبته، إلى سلة طعامنا وإناء شربنا.. وزجاجة الدواء، وجهاز التلفاز، وخزانة الملابس، وغير ذلك وغير ذلك.

إنه كتاب فريد وجديد أنصح الجميع أن يقتنيه وأن يهديه، وأن يقدمه لكل فتاة تعيش فى بيت أبيها فتأنس وتنتظر المزيد فى بيت جديد يضمها بزواج سعيد مع فتى الأحلام.

نقدمه لكل زوج وزوجة ليتحول المنزل إلى البيت السعيد الذى يغرس التوحيد فى كل قلب من قلوب أسرتنا.

كما نقدمه لكل مسلم ومسلمة للنظر إلى أثاث منزلنا بعين مفتوحة ونتدبرها بحسّ واعٍ حتى تكشف لنا عن أسرارها العجيبة وتدلنا على مبدع الوجود.

ولو فتحنا لها قلوبنا لباحتْ لنا بأسرارها ولعشنا معها فى عباده دائمة وتسبيح، فسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء:44].

ولما رأيت الإعجاب على الوجوه باديًا، والرضا من القلوب مناديًا، خشيتُ أن

يُنسب الفضل لى وهو لغيرى، فقلت وأعجب ما فى الكتاب أنه ليس من بنات أفكارى إنما سطره قلم أختنا من ديار بعيدة نقلتُ إليكم منه قطرة لتشتاقوا إلى حلاوته.

أسأل الله أن يرزقها الإخلاص و يزيدها من البركات وأن يجعله من الباقيات الصالحات.

وقدم له الفقير إلى رب البريات
الشيخ : جمال الدين مغازي



مُقدِّمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان وكرمه بالعقل ورفعه بالعلم وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، دعانا للتفكر فيما حولنا من آيات مبثوثة في أرجاء الكون الواسع، وحثنا على التدبر في مخلوقاته، وذكر لنا في كتابه الكريم ما يلفت أنظارنا لكل ذلك، لنأخذ منه العبرة، ولو كان ذلك من طائر صغير، فجعل في النحل آية وفي النمل آية وفي الهدهد آية، ولفت أنظارنا إلى آياته الكونية لننظر إليها نظر المتفكرين ويكون نظرنا عبرًا، فنرى في الأرض والجبال والشمس والقمر والنجوم والأفلاك آياتٍ بيناتٍ تدل على كمال قدرته، دعانا للتفكر فيها وقال لنا في كتابه الكريم **"وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون"**.. ورغبنا في النظر إلى ملكوته الواسع نظرًا يؤدي إلى يقين قلوبنا ويزيد من مادة الإيمان فيها ويجعلها تتفاعل مع ما حولها وترى في كل شيء آيه تدل على ربها وتذكر به. وفي كل شيء له آية:تدل على أنه الواحد. ولو نظرنا حقًا وتفكرنا صدقًا لوجدنا في الأرض والشجر من حولنا والدواب والأنعام المسخرة لنا آيات وآيات يعجز اللسان عن بيانها ويحار العقل في تفسيرها، ولا يستطيع القلب تأدية شكرها.

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، كان خير من عاش مع تلك الآيات حسية ومعنوية وعاين المعجزات الكونية ولامست قلبه الشريف فرأى في الزواج آية كما رأى في خلق الإنسان آية، وكان أعظم من تفكر في صنع الله. ولما كان التفكر مطلوبًا لزيادة الإيمان، ظهرت فكرة هذا الكتاب لعله

يكون خطوة مساعدة للتدريب عليه، وإن كان بطريقة مختلفة لكنها في النهاية توصل إلى التفكر في الكون الشاسع من حولنا الزاخر بآيات الجمال والإبداع التي يعجز المرء عن حصرها.. وبعد

فهذه **"قصتي مع أثاث البيت"**.. أقدمها إليكم.. وهي عنوان كتابي الذي اخترته، ووضعته بين يديك الآن، ولو نظرت فيه لعرفت سبب اختياري لهذا الاسم، ففي كلماتي التي نقشتها على هذه السطور دعوة للتفكر، تبدأ بالتفكر في المحيط الذي تعيش فيه **"البيت"** لتمتد فيما بعد وتتسع في محيط هذا الكون الرائع الذي ينبئك بقدرة الصانع له سبحانه وتعالى.. إنها دعوة لكل إنسان، الصغير والكبير، الأمي والمتعلم، الرجل والمرأة.. دعوة للتفاعل مع ما حولك من مواد وأشياء ولو كانت جامدة لا تتحرك، لكنها مع جمادها تحرك القلوب وتهز الواجدان وتلامس الشعور وتنمي الأحاسيس، إذا ما قابلت من يعيش معها بعقله وقلبه وفكره ووجدانه، لذا فقد نظرت إلى ما حولي من أشياء، وجدتها قريبة مني تسير معي حيثما سرت، وتلازمني في رحلة حياتي داخل بيتي، وما أكثرها، كالساعة والمفتاح والباب والستارة والهاتف والكمبيوتر، والمدفأة والمروحة، هذا على سبيل المثال، عشت مع كل هذه الأشياء وغيرها مما يشبهها، فوجدت فيها صديقة أحادثها وتحادثني، رغم أنها جميعها من الجمادات وهي من صنع الإنسان، صنعها بيديه اللتين أعطاه الله، ووضع فيها عصارة عقله الذي وهبه الله، فصارت شيئًا بفضل الله أولاً ثم بصنع هذا الإنسان، تدل على قدرة الله تعالى الخالق القادر العظيم الذي خلق ذلك الإنسان وهداه وعلمه وميزه بالعقل.. هي جمادات جامدة لا تتحرك لكني رأيت فيها بغيتي، أنظر إليها وتنظر إليّ، ولسان حالها يوحي بالكثير من المواعظ والعبر، فوجدت فيها ضالتي وكانت تلك الصفحات التي تعلمت فيها الكثير، وعشت فيها مع ما حولي وصرت أكثر تأثرًا به، فشفت نفسي ورقت وصار كل شيء يذكرني بالله ويشارك في نصحي والحمد لله أولاً وأخيرًا..

وقد نشرت معظم هذه المقالات في مجلة **المجتمع الكويتية** الأسبوعية، ونقلتها عنها بعض المواقع الالكترونية المختلفة ليقرأها من لا يستطيع الحصول على المجلة، وهذا فضل الله أولاً وأخيرًا ليس لي فيه يد ولا أدنى فضل فلله الحمد والمنة. وكانت هذه أولى كتاباتي بالمجلة وإن كنت أكتب من قبل في مجلات أخرى غيرها، لكنني لم أكن أوثق بعض المعلومات والأقوال التي أستدل بها في موضوعاتي وأسندها إلى المصدر أو الكتاب الذي أخذت منه (**مثل قال عمر** ...) وغير ذلك، فقد كانت مقالات قصيرة ولم أكن أفكر في جمعها في كتاب فلم أهتم بذلك التوثيق كثيرًا وإنما كنت أكتفي فقط بذكر الكتاب ومؤلفه، لذا فلم أستطع تحديدها بدقة ووجدت صعوبة ومشقة في ذلك، فليغفر الله لي، وسأذكر في آخر الكتاب بعض الكتب التي أتذكرها والتي استفدت منها على سبيل الإجمال.

وأتمنى أن يستفيد قارىء هذه السطور وأن يتعود بعد قراءتها على التفكر في كل ما حوله، ولو كان جمادًا لا ينطق، ولعل هذا من الأسباب التي دعتني لكتابتها، كما أتمنى أن يتخذها قراؤها مادة لقضاء الأوقات في الرحلات والمناسبات للتسلية والفائدة معًا.

اعتمدت في هذه المادة على تخريج الأحاديث من موقع (**الدرر السنية**)، وموقع (**المحدث**)، وأخذت تفاسير القرآن من كتب التفسير بالإضافة إلى موقع (**كلمات الإسلام دوت كوم**) وكلها مواقع ثقة بفضل الله تعالى. وقد حاولت جهدي أن أبسط الكلمة وأختار الأسهل منها حتى يتسنى للجميع من كل المستويات قراءتها بسهولة ويسر. وأسأل الله تعالى أن يخلص عملي هذا من كل شائبة رياء أو سمعة وأن يقبله ويبارك فيه وينفع به، وما كان من صواب فمن الله وحده فله الحمد والمنة وما كان من خطأ فمن نفسي الأمارة بالسوء ومن الشيطان الداعي إلى كل شر، فأسأله سبحانه وتعالى العفو والمغفرة **"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"**.

وأخيرًا لا يسعني إلا أن أقدم خالص شكري وامتناني لزوجي الكريم الدكتور **أحمد عيسى** الذي كان بعد الله تعالى من وراء هذا العمل وظهوره إذ كان أول من شجعني على كتابة هذه الموضوعات التي أدين له بفكرتها، وكذا الشكر موصول للأستاذ الفاضل **شعبان عبد الرحمن** مدير **مجلة المجتمع الكويتية** الذي كان من أسباب ميلاد هذه الكلمات على أرض مجلة المجتمع ومن ثم خروجها إلى النور.. ولأستاذي الكريم **يحيى رسام** رئيس تحرير مجلة **الحوار** التي كانت تصدر في برمنجهام وهو الذي تبنى أولى كتاباتي في هذه المجلة، وكان لي شرف الانضمام لهيئة تحريرها كعضو فيها بالإضافة للكتابة، ولا أنسى تشجيعه لي على الاستمرار وإتاحة الفرصة لقلمي المتواضع أن يفصح عن ذاته ويبرز للوجود فجزاه الله خيرًا.. وبارك الله في الجميع، وشكر الله لوالديّ وغفر لهما وجعل هذا العمل المتواضع في ميزان حسناتهما، وجزى الله خيرًا كل من علمني حرفًا في صغري وكبري، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أستاذي الفاضل **فكري علام** أستاذ اللغة العربية في المرحلة الثانوية، وأستاذي **محمد أبو زيد** أستاذ التربية الدينية في المرحلة الثانوية، وأستاذي **سعد الدين** أستاذ اللغة العربية في المرحلة الإعدادية، وأستاذي **عبد الموجود** أستاذ النحو في المرحلة الإعدادية، وأستاذي **حمدي جاد** الذي شارك في تعليمي القرآن الكريم، وأستاذتي الكريمة **سنية** معلمتي في المرحلة الابتدائية الأساسية، وغيرهم جزاهم الله عني خير الجزاء وجعل هذه الكلمات في ميزان حسناتنا جميعًا..

الفقيرة إلى الله تعالى..

إيمان مغازي الشرقاوي..

ليسانس في الشريعة

برمنجهام.. بريطانيا

شكـر خـاص

قال رسول الله ﷺ:**"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"** [1] .

وامتثالاً لذلك التوجيه النبوي الشريف ومن باب الاعتراف بالفضل وأهله أتقدم بخالص شكري **لمجلة المجتمع الكويتية** التي كانت أول حضن يحتضن كلمات كتابي هذا المتواضع، فقد أفسحت لها مساحة شبه أسبوعية على صفحاتها وألحقتها بباب المجتمع الأسري، والمجتمع التربوي.

ومن العجيب أنني كنت أسمع عن هذه المجلة وأراها في مصر وأنا لا زلت طفلة وفتاة صغيرة السن ولم أفكر أنني في يوم من الأيام سأكون بفضل الله تعالى من كتابها، وأن تقوم بإصدار كتاباتي فيما بعد فلله الحمد والفضل والمنة.

ومجلة **المجتمع** هذه هي مجلة المسلمين في أنحاء العالم وهي مجلة إسلامية أسبوعية تأسست عام 1390هـ - 1970م وهي تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، ولها موقع خاص بها على الإنترنت WWW.MAGMJ.COM

وقد كتب الله تعالى لها الثبات والنجاح والقبول إذ تصدر – ما شاء الله لا قوة إلا بالله- منذ أربعين عامًا أو يزيد، فأتمنى لها دوام الاستمرار والتطور والتجديد.

أكرر شكري مرة ثانية لكل القائمين عليها وأخص منهم الأستاذ الفاضل **شعبان عبد الرحمن** مدير تحريرها- حفظه الله- وبارك الله في الجميع ونفع بهم وأعانهم على ما فيه رضاه ونفع عباده.

والشكر موصول للقائمين على هذه الدار المباركة.. **دار البشير للثقافة والعلوم ،** وعلى رأسهم الأستاذ **علاء أحمد عبد الخالق** مدير الدار على الدلالة على الخير

(1) رواه الترمذي .

بالقيام بطباعة هذا الكتاب ونشره لتعم الفائدة وتنتشر الكلمة الطيبة **"والدال على الخير كفاعله"**.

كما لا أنسى تقديم شكري كذلك للفنان الأستاذ الفاضل **محمد عبد الرحمن سيف** وقد أهداني غلاف هذا الكتاب من تصميمه فجزاه الله خيرًا .

الفقيرة إلى الله تعالى..

إيمان مغازي الشرقاوي..

بريطانيا



1
أجزخانة (الصيدلية المنزلية)



تحوي من أنواع الدواء صنوفًا، وتدفع -بإذن الله- من أصناف البلاء ألوفًا، وفي مكان عال، بعيدًا عن أيدي الأطفال، تجدها معلقة تستند إلى الحائط وكأنها تتكئ عليه وتستعين به ليحمل معها حملها الذي بداخلها، فبها من الدواء الاحتياطي الكثير، ومن أصنافه كمّاً غير يسير. ولا عجب في ذلك فالمرء مفطور على حب العافية، والله تعالى يحب من عباده أن يسألوه إياها لأنه هو المتفضل بها عليهم والمنعم الحقيقي، لذلك كان رسولنا ﷺ يطلبها ويفتتح يومه ويختتمه صباحًا ومساءً بطلبها من الله مانحها فيقول: **"اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ..."** [1].

كل ذلك الاهتمام بطلب تلك النعمة العظيمة ليؤكد تأكيدًا شديدًا على أهميتها للإنسان في رحلة حياته، وأنها أداة من أدوات استخلافه في الأرض ليقوم بدوره خير قيام.

والصيدلية بما فيها من إسعافات أولية، وأدوية وقائية، تذكّرنا بعافية الأبدان وصحتها، وبضرورة التداوي من مختلف الأمراض تعبّدًا لله وامتثالاً لأمر رسوله ﷺ القائل لنا: **"تداوَوْا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم"** [2]. ومن هنا نعلم أهمية الحفاظ على الصحة العامة باتباع

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه أحمد.

إرشادات الرسول ﷺ في المأكل والمشرب وفي نظافة الجسد والبيت والمجتمع والبيئة المحيطة بنا. وللأسف فإن كثيرًا منا لا يعي ذلك ولا يقدّر تلك النعمة العظيمة إلا بعد أن يصيبها خلل أو شرخ في صلبها، كما قال رسول الله ﷺ: **"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس:الصحة والفراغ"** [1]. فالصحة تاج كما يقولون على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى! وصاحب الصحة لا زال في فرصة وفسحة ليتقن عمله قبل أن توصد في وجهه أبواب المقدرة.. قبل أن يمرض أو يهرم أو يموت! ومن هنا كانت توجيهات حبيبنا ﷺ لنا: **"اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هِرَمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"** [2]. وقد وضع لنا القاعدة العامة للحفاظ على الصحة فقال: **"ما ملأ آدميّ وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"** [3].

وكان أصحابه رضوان الله عليهم يهتمون بذلك ويتناصحون به، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (**إياكم والبطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة، ومفسدة للجسم، ومؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد في قوتكم، فهو أبعد إلى السرف، وأصح للبدن وأقوى على العبادة، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه**).

ينبغي على المسلم إن مرض بعد أخذه بأسباب الصحة أن يعلم أن هذا المرض ابتلاء من الله تعالى له وأن أمره كله خير، فكله بقدر الله تعالى وتقديره، وأن الأمراض مكفرات للذنوب رافعة للدرجات ما صبر العبد على البلاء وأناب، ففي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: **"ما يصيب المسلم من نَصَب (تعب) ولا وَصَب(مرض) ولا همّ ولا حزَن ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفر**

(1) رواه البخاري .
(2) رواه الحاكم .
(3) رواه الترمذي .

الله بها من خطاياه" [1] . كما يجب عليه أن يأخذ بأسباب الشفاء فيبدأ أولا باللجوء إلى الله بالدعاء أن يكشف عنه ويشفيه ويعينه على الصبر والشكر، فإنه **"ما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر"** [2].. ويتبع ما ورد عن رسوله الأمين ﷺ من آداب.. **"ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: باسم الله – ثلاثًا– وقل – سبع مرات– أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"** [3]. وليحذر كل الحذر من الشكوى والجزع والضيق والضجر فالله أرحم بعباده من أنفسهم، وفي الحديث:**"من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده، وكتمها ولم يشكها إلى الناس، كان حقا على الله أن يغفر له"** [4] . ثم يسارع فيجمع بين دواء الروح ودواء الجسد بالذهاب إلى الطبيب، وألا يتناول أي دواء دون استشارة منه حتى لا يتضرر بذلك، ويطلب التداوي بالأدوية المباحة التي يصفها له أهل الخبرة والاختصاص من الأطباء الأمناء ففيها الشفاء بإذن الله، قال رسول الله ﷺ: **"إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم"** [5].

ومن الأخطاء الكبيرة والتي لا يرضاها الله ونهى عنها رسوله ﷺ لجوء بعض المرضى إلى الدجالين والمشعوذين والكهان ظنًا منهم أن الشفاء عندهم فيطلبونه بطريق غير مشروع يقدح في صحة عقيدتهم وهم لا يشعرون، ويلصقون أي مرض عضوي أو نفسي بالجنّ ومسّهم والسحر والعمل، دون دليل أو برهان إلا الظن..

وفي الحديث تحذير شديد من ذلك فقد قال النبي ﷺ:**"من أتى عرافًا أوكاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ "** [6] . وقد يعلقون تميمة أو حجابًا من عمل هؤلاء الدجالين، وقد نهينا أيضًا عن ذلك.. قال رسول الله ﷺ : **"من**

---

(1) متفق عليه .

(2) متفق عليه .

(3) رواه مسلم .

(4) رواه الطبراني .

(5) رواه البخاري .

(6) رواه الحاكم .

علق تميمة فقد أشرك" [1]. أما الرقى الشرعية المأثورة عن النبي ﷺ فيجوز الأخذ بها ورقية المريض نفسه بالأدعية الواردة فيها..

وزيارة المريض واجبة وحق له على أخيه المسلم.. قال رسول الله ﷺ: **"عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العاني"** [2]. وثواب عيادته عظيم.. ففي الحديث: **"إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح"** [3]. ويستحب لمن عاد مريضًا أن يتبع الهدي النبوي فيدعو له ويقول: **"اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يغادر سقمًا"** [4].



(1) رواه أحمد.

(2) رواه البخاري.

(3) رواه الترمذي.

(4) رواه البخاري.

2

إمساكيــة رمضـان



إنها تعرف بهذا الاسم في بعض البلاد العربية حينما يحل شهر الصيام، وفيما عداه من الشهور يحلّ محلها التقويم السنوي الذي نعرف به الأيام والشهور وتواريخها، وكل ورقة نرفعها من هذا التقويم توحي بميلاد يوم جديد، يوم ينادي فينا: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود، يوم يمكننا أن نملأه بما ينفعنا وينفع الناس من حولنا ويكون لنا به عند الله تعالى رصيد. كما أن هذه الوريقات التي نقطفها يومًا بعد يوم دون انتباه تؤذن بمرور العمر واقتراب الأجل الذي مهما طال فهو ليس ببعيد. هذا عن التقويم، أما إمساكية رمضان فإنها تتحلى بمواقيت الصلوات وتتزين ببيان وقت السحور والإفطار من أول هذا الشهر الكريم إلى آخره، لذا فهي خاصة بالشهر المبارك ومهمتها تنبيه المرء وتذكيره ومساعدته على تنظيم وقته فيه، وقد تختلف المواعيد من بلد لآخر باختلاف أوقات شروق الشمس وغروبها تبعًا لموقع كل بلد، إلا أن ذلك لا يحرمنا من الوحدة الإيمانية التي نتمتع بها في شهر رمضان حيث يكون وقت صيامنا جميعًا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولا شك أننا جميعًا ننتظر هذه الإمساكية من العام إلى العام ففي مجيئها حلول شهر الصيام بما يظلله من نفحات مباركات وسلام .

إن وجود **إمساكية رمضان** ليذكرنا بقيمة الوقت وفضل المحافظة على الصلوات والأوقات خاصة في هذا الشهر الكريم، ولقد عرف الصحابة الكرام والصالحون الأتقياء قيمة أيامه ولياليه فاستغلوها أيما استغلال وتواصوا فيما بينهم

على ذلك، فقد مرّ بعضهم بقوم وهم يضحكون فقال: (**إن الله عـز وجـل جعـل شهر رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلـف أقـوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته**).. وعرفوا قيمة أوقاتهم في الدنيا وأهميتها لتحقيق سكينتهم وسعادتهم المؤقتة فيها ونعيمهم الدائم الخالد في الآخرة، ووعَوا قوله تعالى﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[البقرة:148]. فشمروا لها وطرقوا أبواب الخير، كل الخير، ليكون لهم من كل باب نصيب وعمروا دنياهم به، فأخذوا منها بقدر ما أنفقوا فيها، وجنوا ثمارها من نوع ما بذروا في أرضها، وأعطتهم من نفيس دقائقها وساعاتها ما أعطوها من جهد خالص، وعمل نافع، وتزودٍ من تقوى، فكانت زادهم إلى الآخرة، بعد أن تركوا آثارهم وبصماتهم واضحة جلية أمام عيوننا. لذا نجد سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ يقول مذكرًا: (**الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ومهبط وحي الله، ومصلى ملائكته ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة**).

وفي ذلك قيل:

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق والليالي متجر الإنسان والأيام سوق

من عرف الدنيا على حقيقتها أيقن أن أعظم وأجمل ما فيها طاعة الرحمن، وأنفع ما للمرء فيها السير على طريقه المستقيم بلا تردد أو اعوجاج. وإذا ما اضطربت قدماه أو تعثرت، أو زلّت به فوقع، لمرض ألمّ به، أو تعب أو ضياع، فإن في هذا الطريق الطويل محطات استشفاء لمن يريد أن يستشفي، وعلامات هداية واسترشاد لمن يبغي الهدى ويطلب الثبات، يلتقط فيها الغريب أنفاسه ويلمّ من شعث نفسه، ويراجع التائه طريقه ليسلك دربه الصحيح، ومن أعظم هذه المحطات شهر رمضان الكريم الذي هو كفيل بصقل تلك النفوس ليعود لها بريق

فطرتها الذي محته أو شوهته المعاصي والذنوب، وما سمي رمضان إلا لأنه يرمض الذنوب ويحرقها، وقد فرض الله تعالى علينا صيامه، فقال تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[البقرة:185].

فرض عز وجل صيامه لا ليحرمنا، بل ليعطينا ويحبونا ويمنحنا.. فرض علينا صيامه لا ليضعف أجسادنا بالجوع وينهكها، بل ليصحّحها ويقويها ويطهرها.. ولا ليكبت حاجات نفوسنا ويكسر غرائزها أو ينكرها، بل ليحررها من عبودية الهوى وآفات الشهوة والشبع، ويقويها بالإرادة والصبر، ويعزها بالترفع على هتافات الجسد المادية ووساوس النفس الدنية، إلى نداءات الروح السوية وحاجات سموها وحمايتها من الذل إلا لله وحده خالقها، ألا ترى الطبيب حين يمنع مرضاه من الطعام الشهي والأكل اللذيذ حرصًا على سلامتهم وصحتهم أينكر ذلك عليه أحد؟!

وماذا لو وصف لهم مُرّ الدواء طلبًا للشفاء أيتردد المريض في تجرعه طرفة عين؟!

هكذا أنت أيها الإنسان -ولله المثل الأعلى- حين يأمرك إلهك الحق ومولاك العظيم لا بد وأن تمتثل الأوامر لتزول الأسقام، ولن تجد مزيلاً لها كالتوبة والصيام، إذ أنه كلما امتلأت المعدة وتراكم الطعام فوق الطعام، وكلما كثر اللغو ونشط اللسان بغير ذكر وزاد من الكلام، قسا قلب المرء وغشيته الظلمة وعلاه الران، ومتى كان الإنسان غافلاً لاهيًا، عابثًا مغرورًا، مخدوعًا بزينة الحياة، لا يعبأ إلا بنفسه، تاركًا لهواه الزمام، مرض قلبه وما استقام، بل أضحى حيًّا بجسده مع الأحياء وما يعلم بحال قلبه إلا مقلب القلوب والأبصار القائل في كتابه الكريم:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:46]. لذلك كان الصيام من أهم محطات الوقود اللازم والضروري لصلاح نفوسنا وحياة قلوبنا وتجديد طاقاتنا وتقوية علاقاتنا مع خالقنا العظيم سبحانه وتعالى، وبهذا الوقود حياة القلوب تعود، فتتحقق العبودية لله تعالى، ونقهر الشيطان ونسد مسالكه ونضيق مجاريه، وبه نستعلي على الشهوات بتربية النفس وتقوية الإرادة وتهذيب الأخلاق، فنجوع ونعطش لله، ونكف السمع والبصر وجميع الجوارح عن كل ما يسخطه تعالى.



3

بَـــاب



إنك لا تستطيع دخول بيتك دون المرور منه وإلا كنت سارقًا.. كما أنك لا تستطيع الخروج أيضًا إلا من خلاله وإلا لما كنت عاقلاً! وهو عنوان البيت والحدّ الفاصل بينك وبين الشارع، فمنه تلج ومنه تخرج.. يحفظك من عيون الفضوليين، ويكتم سرك ويغطي عورتك، وهو لك حافظ أمين ينأى بك عن أن تكون مشاعًا للجميع، ولك أن تتخيل بيتًا ذا رياش وأثاث وفراش لكنه بلا باب، فهل يغني عنه أثاثه شيئًا؟!

إن ذلك سيجعله بالتأكيد طعمة سهلة للسارقين، ولقمة سائغة للطفيليين. فبيْت بلا باب كبَدَنٍ عارٍ بلا ثياب، ومن هنا كانت أهمية الباب.

إن كثيرًا منا ينظر إلى الأشياء نظرة جامدة قاصرة، ولو نظرنا إلى ما حولنا بمنظار مكبر لكبرتْ في أعيننا النعم وعظمتْ ولو بدتْ صغيرة، ولتجلتْ لنا معانٍ كثيرة يفتح الله بها علينا، ولفتحنا مع باب البيت أبوابًا شتى هي أمامنا مغلقة، فالأبواب إذًا كثيرة تحتاج لمن يتعرف عليها ويفتحها! فباب العلم:السؤال، وباب الإسلام:الشهادتان، وباب السعادة:الإيمان، وباب العزة:الإسلام، وباب الفقه:الجلوس إلى العلماء، وباب النجاح:الاجتهاد، وباب المحبة:الإحسان، وباب الرزق:السعي، وباب العفة:الزواج، وباب القبول:الإخلاص.

ذكرت كلمة **"باب"** في القرآن الكريم، كما ذكرت في السنة المطهرة، وقد جعل الإسلام لدخول البيت والخروج منه آدابًا منها: الخروج بالرجل اليسرى والتأدب بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ **"بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله"** [1].

---

(1) رواه النسائي .

"اللهم إني أعوذ بك أن أضل، أو أضَل، أو أزل، أوأزَل، أوأظلِم، أوأظلَم، أوأجهَل، أو يُجهَل عليّ" [1] .

وعند الدخول ندخل بالرجل اليمنى ونقول **"باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى ربنا توكلنا"** [2]. وقد أمرنا الله تعالى بأن نأتي البيوت من أبوابها فقال: "﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة:189] وجعل للدخول على الغير آدابًا فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور:27] .

قال قتادة في قوله "حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟": هو الاستئذان ثلاثًا، فمن لم يؤذن له منهم فليرجع، أما الأولى فليسمع الحيّ، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا، ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن للناس حاجات ولهم أشغال والله أولى بالعذر.

وكذلك جعل الله تعالى حق الاستئذان للأقارب بعضهم على بعض فقال في سورة النور: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور:58].. وقال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:59].

خلف هذه الأبواب تجد عبادًا وجدوا أنسهم في خلوتهم بعيدًا عن عيون الخلق، يتنقلون من وراء الأبواب من دَوحة إلى دوحة في رياض من الجنة ونعيمها، قد علموا أن الشيطان لهم بالمرصاد فأغلقوا دونه الأبواب، ولم يفتحوها إلا لكل برّ وإحسان وبسرّية تامة، ومتى هدأت العيون كان لهم دويّ كدويّ

---

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه أبو داود .

النحل من ذكر الله، وإذا خلا كل حبيب بحبيبه خلوا بربهم سبحانه وتعالى فسكبوا في محرابه دموع الرجاء والخوف، ورفعوا أكفهم بدعاء الرغَب والرَهَب، وسارعوا في عمل الخيرات مسارعة الحبيب المشتاق.. فكانت لذة المناجاة بالنسبة لهم ليست من الدنيا وإنما من الجنة، وهم مع ذلك يخفون أعمالهم الصالحة وحسناتهم الخالصة لتربو وتتقبل، قد أصبحوا بوجوه غير الوجوه لما يعلوها من نور، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:29]. لذلك لما سئل **الحسن** -رحمه الله-: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟

قال: (**لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره**). ووراء هذه الأبواب أيضًا عَبيد!!

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾[النساء:108] .

فتجدهم يمارسون المنكرات ويرتكبون الفواحش ويغشون السيئات بقلوب قد علاها الران، وهم مستترون وراء قضبان أبوابهم، وقد سترهم الله تعالى بباب ستره، لكنهم جعلوا من الباب سجنًا لهم، ومن الشيطان قائدًا وسجّانًا، فخلوا إلى محارم الله فانتهكوها وجعلوا الله تعالى أهون الناظرين إليهم، وهؤلاء الغافلون يذكروننا بأصحاب الأبواب المغلقة فهل سمعت عن تلك الأبواب؟

الأبواب المغلقة

إنها تشبه أبواب **امرأة العزيز** حين غلقتها أمام يوسف عليه السلام وقالت له **"هيت لك"!** إن هناك أبوابًا كثيرة تغلق على أصحابها يفعل من ورائها ما الله أعلم به وليس فيهم من يقول ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:23] وليس منهم صاحب الدجاجة الذي أبى أن يذبحها في مكان لا يراه فيه أحد كما أمره أستاذه لأنه يوقن تمام اليقين أنه لن يكون وحده أبدًا، وقد ظن أصحابها أنهم في ستر عن العيون وأنساهم الشيطان أن الله حيّ لا ينام..

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل:خلوت ولكن قل عليّ رقيب.

وهناك أبواب أخرى تغلق أمام أعمال البرّ والخير فلا تسمع لها صريرًا إلا صرير الصدّ والمنع، فهي دائمًا مغلقة في وجوه الكثير من الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والضعفاء، وكأن هذه الأبواب صنعت من صخر أشمّ، فهي لا تفتح! وكأن قلوب أصحابها قدّت من حجر أصمّ، فهي لا تمنح! إذ يبخلون بمدّ يد العون من ورائها لأيّ من هؤلاء، وما علموا أن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وأن من فتح لهم باب الإحسان فتحت له أبواب الجنان.

بيوت بلا أبواب

وإذا وُجدَتْ بيوت لها أبواب مغلقة فإن هناك بيوتا لا يجد ساكنوها أبوابًا لها ليفتحوها أويغلقوها! إنها لأناس قد أنهكتهم الحروب، ولاحقتهم دوريات التفتيش من المحتل في كل مكان، وضاعت أدنى حقوق إنسانيتهم الضرورية من الستر والتصرف بحرية داخل حرم بيوتهم وخلف أبوابها، لكن عيون الشر لا تهدأ إلا بفعل الشر فتتبع الناس حتى داخل بيوتهم ولو أدى ذلك إلى خلع أبوابها بالقوة أو هدمها فوق رؤوسهم! والله المستعان، وما يحدث في أرض الإسراء وبلاد الرافدين أكبر مثال على ذلك. كما تجد من تلك البيوت ما هو على هيئة خيام مهترئة لا تغني من ستر ولا تشبع من دفء يعيش أصحابها داخلها بأعداد كبيرة، يفتقدون الشعور بالحرية والأمن، وذلك بلا شك من آفات الحروب والنزاعات بين قابيل وهابيل في العصر الحاضر، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، فاللهم عونك وغوثك. فلتتذكر تلك الأبواب، عندما ترى باب بيتك، وإذا ما وضعت قدمك على عتبته لتدخله فسَمّ الله و**"إذا دخلت على أهلك فسلّم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك"** [1].



(1) رواه الترمذي .

4

بوتوجاز "موقد الغاز"



لقد تنوعت أشكاله وأحجامه .. منه الصغير ومنه الكبير.. وما يعمل بالغاز أو بالكهرباء، حتى صار وجوده أساسيًا في مطبخ كل بيت وفي جهاز كل عروس.. إنه موقد الغاز الذي نطهو عليه طعامنا، ومن فرنه تخرج الحلوى اللذيذة والمأكولات الشهية التي يسيل لها لعاب الجائع وتشتاق لالتهامها البطون الخاوية.

لقد امتنّ الله علينا بآية النار فقال: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ٧٢ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ [الواقعة: 71 -73]. وقد كان الناس قديمًا يستخدمون النار ويطعمونها الحطب والخشب لتكبر وتنمو وتستطيع حمل ما يوضع في بطنها أو يحمل على ظهرها من طعام، وكذلك استخدموا الفحم لنفس الغرض، ولا زال البعض في أيامنا هذه يشوي علي شوّايات-وإن تطورت- توقَد نارها وتستعر بالفحم خاصة في الرحلات البرية، ورغم ما في ذلك من أخطار متعددة إلا أنهم يأكلون لحمًا طيب الطعم لذيذًا.

حينما نطهو طعامنا على نار البوتوجاز ونجد حرارتها لا بد وأن نشعر شعورًا رهيبًا نحو تلك النار ذلك الجندي القويّ من جنود الله، وندرك كيف خدع الشيطان بقوتها أناسًا ضلوا فعبدوها من دون الله وقدموا لها القرابين، ونعرف كذلك السرّ في نهي الله تعالى لنا عن تعذيب أحد بالنار إذ لا يعذب بالنار إلا رب النار مالكها ومسخرها القادر القهار.. وتذكّرنا حرارتها بنار جهنم تلك النار الموقدة التي قال عنها رسول الله ﷺ: **"أوقد على النار ألف سنة حتى احمرّت، ثم**

أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة " [1] . فنستعيذ بالله من شرها ونبتعد عن أسباب دخولها، ونشكره سبحانه أن سخر لنا نار الدنيا وجعلها نافعة، فقد جاء في الحديث: **"إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، وضُرِبت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد "** [2] .

وحين نفتح الفرن لنخرج ما فيه من طعام نرى نفوسًا صُهِرتْ في بوتقة المحن، وصُفّيت في مصفاة الابتلاء كالمعادن حين تُختبر بالنار، فيظهر منها الغالي والرخيص، والحقيقي والمزيف، والصالح والفاسد، ونجد في طعامنا الذي طيّبته النار وأنضجته صورة لنفس المؤمن وقد نضجت لتصبح في أفضل حال وأحسن رونق، وذلك حين تطيب وتصفو بعد البلاء، ويخرج صاحبها الصابر من أتون الفتن والاختبار في دنياه نقيًا صامدًا قويًا بعد أن تحمل لفح نارها وشدة لهيبها، يخرج وقد صقل جوهره واختبر معدنه وعرف أصله ومخبره فصار أكثر نفعًا كالطعام بعد نضجه حين يُشبع الجائعين ويسدّ حاجة المحتاجين ويصير أشهى وأنفع!

والآن وقد علّم الله تعالى الإنسان ما لم يكن يعلم، وبعد أن تقدم العلم واقتحمت التكنولوجيا عالم الإنسان وصار لها وجود في شتّى المجالات، أبدع الناس في صنع البوتوجازات، وتطورت حتى أصبح منها ما يعمل أوتوماتيكيًا وما عليك إلا أن تضع طعامك في الفرن الخاص بالبوتوجاز ثم تضبطه على الوقت الذي تريد أن تطبخ فيه الطعام بالساعة والدقيقة، وهو مبرمج على أن يعمل ذاتيًا، وقد تبع ذلك التطور أن أقبل الكثيرون على التفنّن في عمل المأكولات والحلويات بطرق مختلفة وأساليب متنوعة حتى أصبح لتعليم طرق الطبخ

---

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه أحمد .

وأصوله معلمون ومعلمات وبرامج منتظمة الظهور على شاشات الفضائيات، ولازَم ذلك ما يطلبه البعض ويطرحه من استفتاء وأسئلة تطرح في هذا المجال، ومن ثم ظهرت كتب تؤلف وتشترى وتباع في علوم الطبخ الحديث، فصار الإسراف في تناول الطعام سِمة من سماتنا إلا القليل، نظرًا لضعف النفوس أمام إغراء البطون، وحب التغيير وانفتاح الشعوب واختلاط أكلاتها، وكثرة الإعلانات عن أشهى الوجبات والأطعمة وأنواع الحلوى والمشهّيات، والله تعالى يقول: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31]. وصِرنا نعاني من السمنة وما تتسبب فيه من أمراض ومشكلات، وبدلاً من اتباع الهدي النبوي في مأكلنا ومشربنا اتبعنا طرق ووصفات **"الريجيم"** التي لن تكون بأي حال كهدي رسولنا الكريم ﷺ في الأكل حين قال : **"ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه"** [1] .. ولا شك أن كل المتع الميسرة تتبعها مسئوليات كبيرة ومطالب كثيرة، كما أنها تحتاج إلى حسن استخدام لها وترشيد استهلاك، وإلا تحولت النعمة إلى نقمة والمنحة إلى محنة وهذا ما لا يطلبه أحد .

إن من آفات هذه الأجهزة المريحة لنا سُوء استعمالها من بعضنا والإسراف في المباحات المتعلقة بوجودها عندنا وتضييع الوقت الذي توفره لنا في أمور لا تفيد، فقد تقف المرأة في المطبخ أمام البوتوجاز تعد من الطعام كل ما لذ وطاب منفقة في ذلك الجهد والأوقات ثم هي تصلي فرضها منهكة لا تقوى على الوقوف بثبات، وقد تؤخره وتترك نوافل الصلوات، أوتصليها مع الجالسات، وقِس على ذلك بقية العبادات! أما إن كان الزوج -أكرمه الله- من محبي الزيارات والولائم المستمرة فستقوم بأضعاف ذلك من الجهد ولا سيما إن كنا في شهر رمضان وهو

---

(1) رواه الترمذي .

الشهر الذي يفترض أننا نصلح أنفسنا فيه بالجوع والعبادات، لأن ضيافتنا الآن فقدت بساطتها وعدم التكلف فيها ودخلها هي الأخرى ما يدخل النفس من حب الشهرة والظهور، والفخر والتباهي والمغالاة ففقدت أجمل ما فيها وهو الجود بالموجود، ورفع الكلفة بين الأحبة والإخوة والأصدقاء من جانب الضيف والمضيف على السواء، حتى أصبحت عبئًا ثقيلاً على ربة البيت ورب الأسرة، ولا أقصد بذلك أن يكون المرء بخيلاً، فليس الكرم في شيء مما ذكرناه، بل إنه أحيانًا يلقي بعضنا ببقية الطعام في سلة المهملات وكان الأولى به أو بثمنه فقير أو محتاج، وما ذاك إلا نتيجة للإسراف الذي أشرنا إليه. تقول عائشة رضي الله عنها: **"إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار"** (1). وتقول: **"ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ "** (2). نعم.. فلقد كانوا يعيشون على التمر والماء، مع أنه ﷺ يقول: **"سيد طعام أهل الدنيا، وأهل الجنة اللحم"** (3)، ومع ذلك فلم يكن يأكل منه إلا قليلاً، وكان يرضى باليسير من الطعام وكان أكثره خبز الشعير، وكان يقول: **"نعم الإدام الخل"** (4).

فليكن لنا الأسوة الحسنة في رسول ﷺ، وحين نطهو طعامنا فلنتحرّ الحلال منه، ولنتأدب بأدب الإسلام معه فلا نعيب منه شيئًا، وعند أكله نشكر الله تعالى على نعمته، ونتذكر الفقراء واليتامى والمساكين فنطعمهم مما أطعمنا الله لتحل البركة، ويكثر الخير ويفيض.

---

(1) رواه البخاري .

(2) رواه مسلم .

(3) رواه ابن ماجه .

(4) رواه مسلم .

5

تلفاز (وملحقاته من دش وفيديو)



إنه أشبه بصندوق العجائب الذي نسمع عنه في الحكايات، وهو كالدنيا في تزينها لأهلها حتى إذا خاضوا في بحر حبها بلا سفينة ولا شراع أهلكتهم وأغرقتهم بلا رحمة أو شفقة! ومع ذلك تجده في كل بيت وربما في كل غرفة عند الصغير أو الكبير على السواء وتلك مصيبة عظمى تستحق الرثاء.. إنه ذلك الصندوق القابع في وسط الغرفة أو في أفضل ركن منها، وحين تنظر إلي أطفالك من حوله تراهم وقد تسمّروا في أماكنهم وهم يكتمون أنفاسهم، قد تجمدّت أطرافهم، تناديهم لغرض ما فلا سامع ولا مجيب، قد أعطوه كل حواسهم وأرهفوا له السمع لئلا يفوتهم مما يقال شيء.

أي غزو حدث لعقول أولادنا بل ولبعض كبارنا، وأي سَطْو وقع في بيوتنا حتى صار التلفاز صاحبًا ملازمًا وصديقًا حاضرًا وقت صحونا وعند منامنا، وقت راحتنا وساعة طعامنا! وإنه في ظني كالجليس الدائم المصاحب لنا، لذا لا بد وأن تنطبق عليه شروط الصديق والجليس التي حثنا عليها رسول الله ﷺ حين قال: "**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك من المسك)، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**" [1] .

فلِمَ لا نولي تلك القضية في محيط الأسرة قليلاً من الاهتمام أو الدراسة بتعقل؟

---

(1) متفق عليه .

لقد تذكرت ذلك الجهاز في هذه الأيام ونحن في أيام فضيلة بصحبة شهر الصيام والكل استعد لاستقباله كل واحد بطريقته الخاصة التي هي في ظنه غاية التكريم والإجلال، إذ أننا جميعًا نحب رمضان، وكلنا يتمنى أن يأتي عليه شهر الخيرات ويعوده أعوامًا عديدة ليغترف من بحور بركات الله تعالى فيه، وينهل من معين رضاه الذي يفيض ويزداد، فرمضان إذن ليس كغيره من الشهور، وليس كمثله شهر منها، وإنك لو نظرت إلى هلاله لتهلل وجهك فرحًا وأضاء بشرًا، ولاهتزت نفسك طربًا وملأها الرضا والحبور، فأنت ببلوغه لست بمحروم ما أديت واجبات الضيافة التي عليك تجاهه من حسن استقبال وكرم إقامة وعدم إيذاء، إذ كيف يقابل النور بظلمة المعاصي، وكيف تستقبل من يخلصك من الآثام بمزيد من الذنوب، وهل يعقل أن تفوت فرصة الخلاص والتطهير بالوقوع في أوحال الرذيلة والمنكرات والخوض في أدرانها!

إن من يفعل ذلك لهو بحق محروم وإن بلغ من الشهر آخره ومنتهاه.

ومع نفحات هذا الشهر العظيم تطل علينا بعض الفضائيات التي تمد التلفاز وتغذيه إما بما فتح الله عليها من طيب الأقوال والأفعال، وإما بسيء الطعام وفاسد المأكولات، فالتي تفيد الناس منها هي المستفيدة في المقام الأول لأن النبي ﷺ يقول: **"من دل على خير فله مثل أجر فاعله"** [1]وهي تدعو بذلك إلى مكارم الأخلاق والتسلح بالعلم النافع في الدنيا والآخرة، لذلك تجدها تزداد حرصًا- بارك الله فيها ونفع بها- على الأخذ بيد العاصي حتى يتوب وتشجيع المحسن ليستزيد، وإني لأشد على أيدي القائمين عليها طلبًا للمزيد. وفي المقابل تجد غيرها وهو كثير يستعد لرمضان بالعديد من الأفلام والمزيد من المسلسلات والجديد من الفوازير التي يتخللها عري وسفور وتبرج، وخضوع بالقول وربما رقصات شرقية مثيرة!

---

(1) رواه مسلم .

كل ذلك من المفترض أنه يُقدّم لبناتنا وشبابنا الصائمين الذين هم في حاجة للسموّ فوق الشهوات لا الوقوع في أحضانها، والاستعلاء على الغرائز لا تأجيجها!

وأقل ما في هذه المواد التي تبث لهم ضياع الأوقات وتبديد الطاقات والاستهانة بحرمة الشهر الذي كرمه الله، أضف إلى ذلك كثرة ما تحويه من لغو وكلام لا يليق بشرف الزمان.

فلِمَ لا يكون الشهر المبارك فرصة لتنقية وفرز ما يقدم فيه للصائمين، ولِمَ لا يكون فرصة للقائمين على برامجه لبث ما يعالج قضايانا جميعها الاجتماعية منها والفكرية والسياسية بأسلوب حضاري راق لا نخالف فيه أوامر الدين، ونستغل هذا الجهاز فهو نعمة عظيمة إذا استغلت الاستغلال السليم وأيّ نعمة!

فما أسرعه في إيصال الغرض إلى العقول وما أثبت المعلومة التي تبث من خلاله خاصة للأطفال، وما أقوي شدة جذبه للنفوس، لذا فإني أناشد المسئولين عن هذه القنوات أن يجعلوا من رمضان فرصة للمراجعة وجرد بضاعتهم وتحديد مكسبهم أو خسارتهم بقدر ما أدوا فيه لله، وأذكّرهم بقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:30].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:281]. فرمضان فرصة للعودة إلى معين الفطرة الطاهر بلا تردد لأن المؤمنين حبهم لله فوق كل حب، كما قال الله تعالى﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:165].

ومن منطلق هذا الحب جدير بكل منا أن يكون له برنامج خاص في شهر رمضان، ومن يدري فلعله لا يدركه عامًا آخر، والعاقل الفطن لا تمر من

يديه مواسم الخير و هو يتفرج، لذا أقدم لنفسي أولاً ثـم لمـن أراد أن يـستغل أنفاسه في هذه الأيام الفضيلة هذا البرنامج العمـلي عـسى أن يكـون لنـا مـن الخير نصيب:

برنامج عملي مقترح لشـهر رمضان

- التوبة النصوح إلى الله من جميع الذنوب والمعاصي، مع النية الصادقة الخالصة لله وطلب العون منه سبحانه وتعالى والثبات.

- المحافظة على الصلوات المفروضة في أوقاتها، مع إسباغ الوضوء قبلها، والتسبيح والأذكار المأثورة بعدها، وأداء السنن الرواتب لها وهي اثنتا عشرة ركعة.

- تلاوة ورد يومي من القرآن الكريم والمحافظة على أذكار الصباح والمساء المأثورة عن رسولنا ﷺ.

- المحافظة على ركعتي الضحي، والحرص على أداء صلاة التراويح طوال شهر رمضان، والنوم على طهارة، مع قراءة أذكار النوم، وتجديد نية القيام لصلاة ركعتين بالليل أو أكثر.

- المداومة على دعاء جامع ومختصر يوميًا قبل الإفطار ووقت السحر، تخص به نفسك وأهلك وكل المسلمين والمسلمات، والإكثار من الاستغفار وقول لا إله إلا الله، والاجتماع مع الأسرة على تلاوة أو طاعة.

- إخراج صدقة يومية ولو قليلة توضع في يد محتاج، وإلا فيمكن أن توضع في صندوق يعدّ لذلك الغرض بالمنزل، وإخراج الزكاة المفروضة في وقتها، طيبة بها نفوسنا.

- حسن الخلق مع الجميع والحفاظ على الصيام من أن يخدش بغيبة أو نميمة أو فحش القول، وبر الوالدين والدعاء لهما في كل صلاة، وصلة الرحم وإن قطعتك.

- إتقان العمل في السر والعلن، والاجتهاد في تحصيل العلم النافع في الدنيا والآخرة.

- عدم إضاعة الوقت في كثرة النوم، أو الإسراف في المباحات، أو السهر في غير طاعة الله.

- التزام المسلمة بحجابها ومراعاة الآداب الخاصة بلباسها وزينتها.

- ملازمة المسلمة لذكر الله ولأعمال الخير أثناء حيضها ونفاسها.

- تفطير صائم أو المشاركة في ذلك، دون تكلف، ولو على تمرة أو جرعة ماء.

- الحذر عند الإفطار من الأكل حتى التخمة، عملاً بالسنّة، ودفعًا للكسل عن العبادة.. والاقتصاد في إعداد المأكل والمشرب، وعدم الانشغال بذلك وقتًا طويلاً بالمطبخ.

- الاقتصاد في استخدام الهاتف، وتجنب الثرثرة واللغو من الكلام.

- زيارة المرضى التماسًا للأجر وطلبًا للثواب، ومساعدة المحتاجين وتقديم العون للضعفاء، ورعاية الأرامل واليتامى وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم.

- اغتنام العشر الأواخر من رمضان والاجتهاد في العبادة التماسًا لليلة القدر، وعدم الإسراف في الاستعداد للعيد، و الحذر من إضاعة الأوقات في الأسواق.

- محاسبة النفس والاستغفار بعد كل عمل وتصحيح أي خلل أو نقص فيه، والعزم على الاستمرار في الطاعة بعد رمضان لتتحقق ثمرة الصيام.

- **وأخيرًا** لا تجعل من عبادة الصيام سببًا للكسل والتقصير في أداء عملك الذي تقتات منه، بل اجعله سبيلاً لإتقانه وتقديم القدوة والمثل الطيب للمسلم الصائم.. ثم لا تغتر بأي طاعة أو يداخلك العُجب بأى عمل عملته ولو كان كثيرا، بل كن وجلاً و اسأل الله المغفرة و القبول و اشكره على أن وفقك لطاعته. مع تمنياتنا للجميع بصيام مقبول، و تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

6

ثَــوْب



في لحظة صفاء وودّ مع نفسها اشترتْ لها خمسة أثواب جديدة.. لقد اشترتها كلها معًا في ساعة واحدة ونقدت البائع ثمنها بسماحة نفس دون أن تجادل في السعر الذي حدده لها.. بل وأضافت إليها شراء ما يلزم من طيب وعطورات.. لم تبالِ حينها ولم تفكر إن كان هذا إسرافًا مذمومًا أم أنه من الضروريات! لكنها ليست كعادتها حين تحضر الملابس الجديدة بماركاتها العالمية وموديلاتها الرقيقة التي تتناسب مع ذوقها الرفيع وتطلعاتها إلى الجمال.. إنها حين تفوز بشرائها يرقص قلبها طربًا، وتتنافس جوارحها شوقًا لارتدائها، فقد جُبلتْ على حب الجمال، وما ذلك بعيب فيها، فهي لم ولن تتزين بها إلا في بيتها، أمام زوجها، أو بعض محارمها، أو النساء من أهلها وصديقاتها، كما أنه لا يخرجها عن تواضع نفسها ولن يصرفها عن ارتداء حجابها.. رجعت إلى البيت وهي تحملها بين يديها، وبين الحين والآخر تختلس نظرة إليها على وجَل واستحياء.. وكلما نظرت إليها بطرف عينيها غضت الطرف عنها، وأخذتها رعدة، وسرى في أوصالها قشعريرة، وزاد اضطرابها، وتسابقت دقات قلبها! وما تلك بعادة لها.. لقد اشترتها بمال حلال طيب ولم تسرقها فلِمَ الخوف والقلق إذاً؟!..

جرت مسرعة نحو غرفة صغيرة في بيتها أشبه بالمخزن تضع فيها بعض الأغراض اللازمة للبيت.. فتحت بابها بعصبية ويدها تهتز وتنتفض وهي تمسك بمقبضه ودون أن تفكر ألقت ما في يدها من ملابس في خزانة صغيرة بداخله

كأنها تضع عن كاهلها عبئًا ثقيلاً عليها كاد أن يهلكها أو قنبلة موقوتة أوشكت أن تنفجر بين جوانحها.. وبعدها أغلقت الباب وجلست تلتقط أنفاسها وتجمع شعث قلبها.. حاولت أن تسترخي علّها تريح أعصابها وتفكر في أمرها.

ألقت بجسدها المنهك على سريرها.. ودار حوار داخلي عنيف مع كل ذرّة في بدنها.. يهزها هزًا.. حوار مشوب ببعض الاعتراف بالخطأ وتأنيب الذات ومحاسبة النفس الأمارة بالسوء المتلهفة على كل لذة عاجلة ولو كان فيها حتفها .. صراع صادق يحركه الصدق الذي شفتْ به نفسها.. لقد أرادت أن تلقّن نفسها درسًا لا تنساه، وذلك حين هالها البحر الهائج بالأزياء الذي تتناثر أمواجه لتلقي بكل جديد، قد يكون هذا الجديد صالحًا لتناوله وقد يكون مسمومًا يميت ويقتل آكله! وكلما ألقى ما فيه طلب الناس المزيد! خشيت على نفسها تلك الموجات العنيفة الجارفة التي تجرف معها كل ضعيف وتلقي به بعيدًا بعيدًا في قرار سحيق.. أحست في نفسها التأثر بتلك الفتنة الكبيرة وشعرت أن تلك القضية التي شغلتها تشغل بال الكثيرات من بنات جنسها من نساء اليوم واللاتي انبهرن بزخرف الحياة وعالم الموضة والأزياء فصار لهن شغلاً ومطلبًا، وأصبح معهن همّا ومأربًا!

وصارت الواحدة منهن خبيرة بالموضة وأسرارها مميزة للأزياء وخطوطها حتى في الحجاب الذي دخله هو الآخر موجة التغيير والتمدن فغيرت من جوهره وشوّهت من صورته الناصعة الأصيلة.. همست تحدث نفسها.. عجيب أمرك أيتها الإنسانة.. لِمَ تخافين وتتصارعين مع نفسك؟

ألستِ أنت المرأة الجميلة الذواقة للجمال؟

ألستِ المحبة للجمال الحريصة على اقتنائه؟

شأنك شأن الكثيرات، لستِ وحدَك فلِمَ القلق؟

جاءها صوت الحقيقة يناديها من أعماقها.. يرنّ في أذنيها.. يتردد في جوانحها.. تسطّره حروف الكلمات على صفحات عقلها.. ومع نبضات قلبها الخائف يأتيها الصوت قويًا من بعيد.. لماذا لا تجربين؟

لماذا لم تكلفي نفسك مشقة العناء لتنظري بعين الحقيقة إلى تلك الأثواب؟

ألم تشتريها لتكون سببًا في زينة قلبك وجمال روحك وحياة للوجدان.. ألم تقتنيها لتكون لك ولنفسك بالمرصاد.. لقد دفعتِ في شرائها بعض النقود لتقبضي الثمن، لكنه ثمن طيب مبارك.. ألم يقل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:55] .. نعم.. ليذكّرك دائمًا بالحقيقة عندما تنسِين.. وينبهك عندما تغفلين.. ويوقظك حينما تنامين.. جَرّبي ولو مرة واحدة.. وقِفي أمام المرآة بهذه الثياب الجديدة.. ستلبسينها كلها حتمًا في يوم ما.. إنها خاصة بك وبكل امرأة.. وللرجال أيضًا منها نصيب، لكن نصيبك أوفى وأكثر، فحين يكون للرجل منها ثلاثة يكون لك أنت خمسة إكرامًا لك، ومبالغة في سترك وصيانتك!

هيا.. أخرجيه من الدولاب.. وثقي أن هذه التجربة ستعطيك الكثير.. بل إنها ستجعل منك إنسانة أخرى غير التي تعرفين.. إنها ستصقل روحك وتشحذ هِمّتك.. ستنعمين بعدها -بفضل الله- بقلب أتقى ونفس أنقى وعمل أخلص وأرقى.. ستجعلك أفضل حالاً، وأصدق حديثًا، وأقوى إيمانًا، وأحسن خلقًا، وأكثر لله ذكرًا.. ستجعل منك الإنسانة الرفيقة المحبة لكل خير البعيدة عن كل شر.. ولا تخافي بعدها من هذا الثوب.. لأنه ثوب الحقيقة الذي سيرتديه كل إنسان بل كل مخلوق في هذا الوجود.. الحقيقة التي قد يتهرب بعضنا منها ومن محاولة معرفتها أو ذِكرها، ننساها أو نتناساها.. مع أنها آتية لا ريب فيها وإن طال بنا المقام.. وهي نهاية كل حيّ ومخلوق في هذه الحياة.. نعم أختاه.. إنها الثياب البيضاء التي نلبسها للقدوم على الله عز وجل.. في يوم لا مهرب منه.. سَمّها ما

شئت.. كَفناً كان أو ثوبًا.. فلا فرق، فالكل لابسه أو يُلبَسَه رغمًا عنه في يوم ما، قد يكون قريبًا وقد يكون بعيدًا، لكنه في الطريق إلينا، وكل آت قريب، أليس كذلك؟

فهل جربنا يومًا وارتدينا هذا الثوب بأنفسنا ونحن أحياء لتحيا قلوبنا من غفلة وموات!!.



7
حقيبة السفر



كلما أتى موسم الإجازات استعد كثير من الناس في مختلف البلدان لرحلة سفرهم إلى بلاد الله، فينتهزها بعضهم فرصة لزيارة الأراضي المطهرة لأداء عمرة مباركة، أو طلبًا للعلم أو سعيًا وراء الرزق أو طلبًا للعلاج والاستشفاء.

أما البعض الآخر فإنه يسافر سياحة، قد تكون إلى مدن أوروبا للهرب من الحرّ، أو للتعرف على هذه البلاد، وقد تكون إلى مدن أخرى في نفس البلد الذي يعيشون فيه، أو في بلدة مسلمة أخرى تمتاز هذه أو تلك بطقسها المعتدل، وجوّها الساحر، ومناظرها الخلابة، وأهلها الطيبين، وهذا ما نشجعه ونحث عليه.

إن الله تعالى حبا بلادنا العربية والإسلامية بأجواء ومعالم سياحية غاية في الروعة والجمال مما جعلها مهوى الأفئدة لكل الناس من مختلف البلدان الأوروبية وغير الأوروبية، ومع ذلك نجد الكثير من أهلنا يهجرونها ويهربون منها إلى بلاد غريبة وغربية سفرًا وسياحة وبحثًا عن التغيير، ومحاولة منهم لإنفاق ما معهم من نقود تؤرقهم وتثقل جيوبهم!

فيذهبون ويرجعون بجيوب خاوية ونفوس ربما تأثرت بفتنة الانفتاح فعلاها الران الذي يتسبب في صدأ القلوب، وقد كان بإمكانهم لو أرادوا إفراغ ما في الجيوب بأرض بلادهم فيصبح المال منهم وإليهم، مع ما يلازم ذلك من تعارف على أصدقاء جدد وإخوة وأصحاب من أهل تلك الديار التي يزورونها.

عندما يستعد المسافر لسفره ذاك يبدأ أولا بحجز تذكرة سفره ودفع ثمنها ليضمن لنفسه كرسيًا ومكانًا في الطائرة أو السفينة، أو يعدّ سيارته ويعمل لها صيانة كاملة ليضمن السلامة في رحلته إن كان سيسافر بالسيارة، وتراه يرتب الأشياء ويشتري ما يحتاجه من أغراض، ولا يترك شيئاً صغيرًا أو كبيرًا سيحتاج إليه في سفره إلا وقد أحصاه وجهزه بصبر واعتناء واهتمام.. ها هو الدواء الذي يتداوى به.. لقد أوصى طبيبه بمضاعفة كميته زيادة في الاحتياط، ولم ينس بالتأكيد دواء الأطفال خوفًا من أن تفاجئهم في سفرهم بعض الأسقام، والملابس يجب أن تكون خفيفة تناسب الحرّ ولا بأس بأخذ أخرى ثقيلة لليل لو تقلبت الأجواء، مع قبعات الشمس والمراهم والكريمات اللازمة لجوّ الرحلة الحار. أما إن كان مسافراً إلى أهله فعليه أخذ الهدايا لهم وما يطلبونه من أشياء أخرى تخصهم.

كل هذا جميل وطيب، وهو من باب الأخذ بالأسباب الذي أمرنا ديننا به، وصار أمراً متعارفاً عليه بيننا أن كل من أراد السفر فعليه القيام بتجهيز حقيبة سفره وإعداد الزاد لرحلته وأخذ ما يكفيه من مال حتى لا يحتاج لأحد. وقد حث الإسلام على ذلك فقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:197]. وهنا نجد أن الله تعالى أمرنا بالتزود لسفر الدنيا حين قال: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ وأعقب ذلك الأمر بإرشادنا إلى استصحاب زاد الآخرة.. التقوى. وكلنا يتعجب ممن يسافر بغير استعداد، فمن سافر دون أخذ ما يحتاجه كانت متعته في رحلته ناقصة.

حين يبادر المسافر لحجز مقعد مؤقت بالطائرة فليتذكر مقعده الدائم في الآخرة، في جنة عرضها السماوات والأرض إن أحسن واستقام، وليسرع بحجزه ودفع قيمته وثمنه الرمزي والذي يستغرق دفع أقساطه منه العمر كله، وهو مهما دفع فلن يوفيه حقه.

وحين يجهز المسافر زاده ويعدّ راحلته ويرتب أغراضه فلينتبه إلى أن هناك زاداً لا يحتمل تجهيزه التأجيل أو التأخير والتسويف، ولا يتناقض معه أخذ الزاد لسفر

الدنيا، عرفه عمر بن عبد العزيز ﷺ فقال: (**إن لكل سفر زاداً لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى**).

ولذلك لما سئل الرسول ﷺ أي المؤمنين أكيس قال: "**أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس**" (1).

في السفر فرصة لتنمية الهوايات والترفيه عن الذات، وفيه تجديد للإيمان بممارسة عبادة التفكر والنظر والاعتبار، وتذكرة بالسفر إلى الدار الآخرة.

وحين ينوي المسافر السفر فعليه إخلاص النية، وصلاة الاستخارة، وتعلم أحكام السفر الفقهية، وكذلك قضاء ديونه إن كان عليه دين، وردّ حقوق العباد إليهم، واختيار رفيق صالح للسفر معه إن أمكن، ولا ينسى أن يصحب معه مصحفاً يقرأ فيه أثناء سفره، وكتابًا نافعاً يؤنسه في رحلته، وعليه أن يكتب وصيته لأهله ويودعهم قائلاً لهم: "**أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه**" (2). ويسلم على أصدقائه ويطلب منهم الدعاء له.

وعندما يشرع في سفره فليتأدب بآداب السفر وليصلِّ ركعتين قبله.. ففي الحديث: "**ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتي يركعهما عندهم حين يريد سفراً**" (3). ويدعو عند خروجه من بيته وعند ركوب وسيلة السفر الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، ويكثر من الذكر ويلح في الدعاء، ويتخلق بالأخلاق الكريمة ويراعي عادات البلد الذي يزوره ويحترمها ما لم تخالف شرع الله عز وجل.

---

(1) صحيح الترغيب وحسنه الألباني .

(2) رواه أحمد .

(3) رواه الطبراني .

8

حقيبة المدرسة



إنها تذكر بالمهمة العظيمة التي من أجلها خلق الإنسان، ومن أراد معرفتها فعليه أن يبدأ بالحقيبة المدرسية التي نسميها إن صحّ لنا حقيبة العلم، وذلك منذ الصغر، فمِن بين طياتها ينبع العلم الذي تذخر بها كتبها.. العلم ذلك الكنز الثمين الذي لا غنى عنه للبشر في دنياهم، بل إنهم يكونون أشبه بالموتى إن لم يكن من نصيبهم.. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:9]. فهو فرض علينا جميعًا.. قال النبي ﷺ : **"طلب العلم فريضة على كل مسلم"**(1) .

من أراد أن يطلب العلم فعليه أن يبدأ منذ الصغر، وهذا مسئولية الآباء والمربين، لأن العلم في الصغر كما يقولون كالنقش على الحجر، وإن كان هذا لا يمنع مَن فاته قطار التعلم في صغره أن يستمر في الطلب وكما يقال أيضًا: **اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.**

فالعلم بحر لا يجف معينه ولكنه يحتاج باستمرار لمن يغرف منه ليستمر جريانه ولا ينضب. ومن خلال حقيبة المدرسة نرى طالب العلم وقد علتْ همته، وقويت عزيمته، يسعى إلى معالي الأمور ولا يرضى منها بالقليل.. يسير على الطريق ولا يقف إلا للتزود أو الراحة.. يطلب العون من الله.

فيا طالب العلم أبشر.. فلقد حفظتَ الوصية حين أقدمت على طلبه، وقد أُرِيد بك خيرًا إذ سلكتَ خير طريق يوصلك إلى الجنة.. قال رسول الله ﷺ: **"من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة "**(2) .. ويا باغي العلم.. أبشر

---

(1) رواه ابن ماجه .

(2) رواه مسلم .

وقد سعيتَ لأداء الفريضة الواجبة عليك، وأمنتَ بذلك من الجهل والغفلة ومن تضييع وقتك.. بل وسلكتَ طريق الرحمة ففي الحديث : **"الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا"** [1].. وخرجت في سبيل الله كما قال النبي ﷺ: **"من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"**[2] .. لتأخذ بحظك من ميراث النبوة.. **"وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر"**[3] . فأنت تنتمي بلا شك إلى تلك الأمة العظيمة- أمة اقرأ- التي أمرت بالقراءة، والتي دعاها قرآنها من فوق سبع سماوات إلى الأخذ بأسباب العلم وسلوك سبيله، وما ذاك إلا لأهمية تلك المرحلة – مرحلة التعلم والعلم - في حياة أي فرد، وفي بناء أي أمة.. وفي نهضة أي مجتمع.. فالمجتمعات الجاهلة ليس لها أن تسود أو ترتقي، وليس لها مكان بين الأمم.. وأنت على ثغرة من ثغور الإسلام لا بد لك أن تسدّها وتحفظها.. فكم من ثغور ضُيّعت وتُضيّع بسبب جهل أهلها وذويها، لذا فقد أمر الله تعالى بالعلم وكان أول ما نزل من كلامه سبحانه وتعالى ما يدعو إلى العلم، قال عز وجل:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾

[العلق:1].

كم هو عظيم ذلك الدين الذي يطلب من أبنائه أن يتعلموا ويتخصصوا في كل علم نافع للبشرية وللكون من حولنا ليكونوا شامة بين الأمم ويحققوا الاكتفاء الذاتي لأنفسهم حتى لا يمدوا أيديهم إلى غيرهم استجداء، بل تمتد أيديهم هم بالعطاء للعالم من حولهم.. عطاء بلا حدود وفي كل شيء.. عطاءًا روحيًا ونفسيًا.. ماديًا وعمليًا.. عطاء يشمل علوم الدين والدنيا معًا فنحن لا نستغني

---

(1) رواه الترمذي ، وحسنه السيوطي .
(2) رواه الترمذي .
(3) رواه الترمذي .

عن أحدهما ولا نتعلم إلا لأجلهما معًا، وهذا هو الفرق بيننا وبين غيرنا من الأمم حين نمسك بزمام العلم فنسوقه كما أراد الله له، نفعًا شاملاً للبشرية.. ولا لشيء آخر غير ذلك.. لذا فقد أمرنا ديننا أن نقرأ ونتعلم باسم الله وفي سبيل الله ووفق منهج الله ومن أجل وجه الله تعالى، وبذلك نستحق أن نكون الأمة الوسط التي توازن بين متطلبات الروح وحاجة الجسد، والدنيا والآخرة، والتي تعرف لكل منهما حقه فتؤتيه إياه، بلا إفراط أو تفريط، وبلا غبن أو خسارة.

ففز بعلم تعش حيًّا به أبدًا:الناس موتى وأهل العلم أحياء.

ويا طالب العلم..

بقدر الكد تكتسب المعالي

ومن طلب العلا سهر الليالي.

فإذا وفقك الله تعالى ويسر لك طريق العلم فأخلص النية في طلبه لله عز وجل، وحدد هدفك يسهل الوصول إليه، وليكن أول ما تطلبه ما هو فرض عين عليك من تعلم أمور دينك التي بها تعرف الحلال والحرام، والتي تبين لك كيفية القيام بالعبادات التي لا يقوم بها غيرك عنك لتعبد ربك على بصيرة، وكذلك ما تدفع به الشبهات حتى تكون على بينة من دينك ولا يختلط عليك أمرك.. فإذا ما علمت ذلك وبدأت في طلب العلم فالجأ إلى الله واطلب العون منه واجأر إليه داعيًا إياه أن علمني يا الله ما ينفعني وارزقني الإخلاص..ثم زين هذا الإخلاص بتقوى الله لتتحقق معيته وعونه لك، وتكون أهلاً لهذا الرزق العظيم من الفهم وحسن التعلم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:282] ..

بعد مرحلة الصغر يتضح لطالب العلم ما يستهويه ويبرع فيه من فروع العلوم المختلفة.. وهنا كثيرًا ما نقع في الخطأ حين نجعل من مجموع درجات الطالب في نهاية العام حاكمًا على مستقبل الطالب الدراسي والعملي، فيدخل الجامعة طبقًا لهذه النتيجة، إذ ربما يأتي الطالب بنتيجة باهرة تدخله أعلى الجامعات معدلاً لكن

ميوله تتجه لجامعة أخرى هي دونها منزلة في عُرف الناس من حوله، وهنا يقف الوالدان بل والمجتمع من وراء ذلك الطالب مقللين من شأن ميوله تلك التي قد يتفوق فيها ويكون علمًا في تخصصه ذاك الذي يريده، فيحرم منه بسبب أعراف اجتماعية نشأنا عليها تحتاج إلى تصحيح وتغيير، لذا فإننا نؤكد على أن أمتنا تحتاج إلى التخصصات المختلفة، فكل تخصص له احتياجاته، ونطلب من طلبة العلم أن يتفرغوا له حين طلبه وأن يتفوقوا في تحصيله، ليكونوا أعلامًا في مجال تخصصاتهم ليس في محيط بلادهم فحسب بل على مستوى العالم بأسره، إذ لا يحق لمن أمر بالتسلح بالعلم أن ينفض يديه منه أو يتركه لغيره.. ولا ينبغي لأمة رائدة أن تسير في آخر الركب!

وهنا لا بد من طلب العلم.. ونحن حين نقول العلم لا نحصره في العلوم الشرعية وإن كانت دائمًا هي الأصل.. إنما نقصد به كل علم نافع يفيد طالبه أوينفع الناس والمجتمع من حوله، وإلا لما كان لأمة الإسلام الصدارة والفضل على سائر الأمم حين كانت هي القبلة لطلبة العلوم المختلفة يفدون على بلدانها من كل مكان لطلب العلم والحضارة من عندها، وحين كانت تُترجم كتب علمائنا إلى لغات القوم لتدرس في مدارسهم وكلياتهم، حدث ذلك لما علمنا أن رسالتنا عالمية واسعة ليست محصورة في مكان بعينه ولا تحت عِلم معين.

نحن نحتاج إلى متخصصين في أمور الشريعة لحفظ ذلك الدين وتبليغه والقيام بواجب الدعوة إليه والذي لا يسقط إلى يوم القيامة، ونحتاج لمتخصصين في العلوم الأخرى من طب وفلك وحساب وكيمياء وتاريخ وجغرافيا وهندسة.. نحتاج لمن يتخصص في علوم اللغات المختلفة لنوصل لأصحابها رسالتنا، ونمد حبل التواصل بيننا وبينهم.. نحتاج لخبراء في علوم العصر الحديثة من التكنولوجيا المختلفة.. في الاتصالات والاختراعات وغيرها من سائر العلوم التي هي شعار لقوة الأمم ومبرر لسيادتها.. ولن نكون خير الأمم إن لفّنا الجهل

وأحاطت بنا ظلماته فانتظرنا من غيرنا أن يكشفه عنا أو يعطينا مما عنده.. وكيف يعطينا إذا حرمنا نحن أنفسنا؟!..

فأين أنت من كل هذا يا طالب العلم؟

إن الأمل – بعد الله – معقود عليك، وأمتك تنتظرك وهي بحاجة إليك.

كما أننا بحاجة إلى معلمين ومعلمات من أصحاب الكفاءة والخبرة الذين يؤدون أعمالهم بصدق وإخلاص، موقنين أنهم أصحاب رسالة وأنهم على طريق رسول الله ﷺ ، وهم بدورهم يحتاجون دائمًا لإمدادهم بالجديد المبتكر عن طريق حضور الدورات العلمية المستمر، والاطلاع الدائم على كل ما جدّ بالساحة العلمية، على أن يعود للمعلم دوره ومكانته التي أكرمه الله بها، فنعلى من شأنه ونجله ونحترمه.

كلنا طلبة علم ... فمن هو طالب العلم ؟

– إنه ذلك الطالب المخلص الذي يطلب العلم مخلصًا لله تعالى لا يطلبه بنية الرياء أو السمعة أو الحصول على الدنيا، إنما شأنه شأن المسلم في كل أعماله، همه في كل حركاته وسكناته رضا الله تعالى بما ينفع نفسه والناس من حوله بهذا العلم.

– أن يطلب مع علمه، العلم الشرعي المفروض عليه، ليتعرف على دينه من خلاله ويعمل بما تعلم منه ليتحقق الغرض والنفع له، يغض طرفه عن المحارم، ويتقي الله في مشيته ونظرته وسكونه وحركته، له ورد يومي من القرآن الكريم، وصحبة مع الذكر والدعاء، يستعين بطاعته لله على طلب العلم.

– هو الغيور على أمته وبلاده، يتعلم ليسد حاجتها ويرفع شأنها يشارك بعلمه في صنع نهضتها وعلو شأنها.

– هو الذي لا يلهيه طلب العلم عن القيام بحق الله تعالى كأداء الصلوات في أوقاتها، وبر الوالدين، والإحسان إلى الفقراء ومساعدة الضعفاء، وسائر أعمال الخير.

– إنه الصبور في تحمل مشاق طلب العلم، المحافظ على أوقاته، المتحين كل لحظة في طلبه إعلاء لشأن أمته..

فالعلم طلبه جهاد للنفس ولشهواتها.. وإلا فلن يستطيع أن ينهل من معينه.

- إنه هو من فرّغ نفسه وجردها من شهواتها في سبيل طلبه للعلم، طموح لا يرضى لنفسه إلا أعلى الرتب والمراتب، يأخذ بأسباب ذلك ويتوكل على الله، شعاره ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114].. كلما نال درجة منه سارع لغيرها.

- هو الموقر لمعلميه وأساتذته، المطيع لهم والخلوق معهم، فلا يرفع طرفه عليهم، ولا يعلو صوته صوتهم، يعرف فضلهم عليه، ويثني عليهم ويشكرهم.. يخلص لهم الود، ويدعو لهم بظهر الغيب، وكما يقال: من علمني حرفًا أخلصت له ودًا.

- هو صاحب الخلق الحسن الذي يأمر به دينه، متواضع مع زملائه وصحابه لا يبخل عليهم بالعون، ولا يتكبر عليهم ما تفوق، قدوة طيبة لهم، متعاون معهم على طلب العلم وحسن التأدب بآدابه.. قال الله عز وجل ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:2].

- يحافظ على مدرسته وجامعته.. نظافتها وممتلكاتها.. فهي أمانة لديه، وليست ملكًا له وحده، وهو مسئول عن ذلك أمام الله تعالى يوم القيامة.

- لا يؤجل واجباته ولا يتركها حتى تكثر وتتراكم عليه، ويتقن أداءها لأن الله تعالى يحب منه ذلك.

- لا ينعزل بسبب طلب العلم عن الناس، ولا عن أحداث أمته وإنما يعيش واقعهم ويعاصره، ويوازن بين ما يطلب من العلم وبين العلوم الأخرى ليكون على بينة بما يحدث في عصره .

- عند الامتحان يكرم المرء أو يهان كما يقولون.. فهل هذا مبرر لطالب العلم أن يغش لينجح ؟! إنه إن أكرم بالنجاح بالغش والخداع فلا يخفى ذلك على الله، وقد يُهان يوم القيامة ويفضح أمام الخلائق لأنه غشاش وظالم وسارق.. وديننا

ينهى عن الغش وقد قال النبي ﷺ محذرًا: **"من غشنا فليس منا"**[1].. والواجب عليه بدلاً من الغش أن يجتهد ويذاكر بجدّ، والله لن يضيعه بفضله ورحمته. وكما قيل:

(ومن لا يذق ذل التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته) .

- **وأخيرًا** يا **طالب العلم** فلست وحدك من تطلب العلم فقد طلبه قبلك كثيرون ويطلبه معك كثيرون وسيطلبه بعدك أيضًا الكثيرون، فلا تغتر بما آتاك الله تعالى من علم، فمهما زاد فهو قليل، كما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:85] ، واعلم أنك مهما بلغت فيه مبلغا فإن ذلك من فضل الله عليك، وهو القائل سبحانه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:53]. وما أنت إلا سبب فكن على صلة دائمة بربك العليم يهبك علمًا واشكره يزدك فضلاً، ولا تغتر بعلمك فيسلبه منك.



(1) رواه الترمذي وصححه السيوطي .

9

حَـوْض



كلما حَدا بك الشوق وازداد، وعاودك الحنين وزاد، فتذكّر الموعد.. وإذا ما التقى الأحباب في دنيا السراب فاذكر اللقاء الأبدي السرمديّ في عالم الحقيقة، حيث لا غشّ ولا خداع، ولا تحوّل قدر باع! وهناك يلقى كل حبيب حبيبه.. ويتحقق وعد الله: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزُّخرُف:67].

إن بطل حكايتنا هذه المرة (**الحوض**) لَيذكّرنا بذاك اللقاء المشهود، وإن اشتركت الأسماء في لفظها فشتّان بين اللفظ والحقيقة ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى. لذا فإننا عندما نتلفظ بذلك الاسم تطير أفئدتنا فَرَقًا، وتهفو أرواحنا شوقًا، وتسمو عاليًا لتؤمن بعالم الغيب كما آمنتْ بعالم الشهادة.. نتذكّر ذلك النعيم الذي ينعم فيه الحبيب بلقاء حبيبه، وتلك هي الأمنية العظمى، فيعمل الحنين عمله في النفوس، ويسرح الخيال بعيدًا، حيث يتوهم حرارة اللُقيا العالية، ونظرة الشوق الحانية، وفرحة الوصال الغالية، وعندها تتكحل العينان برؤية الحبيب العدنان ﷺ ، حقيقةً لا خيالاً، ويرتوي الحبيب من يد حبيبه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، بعد أن نجح في الامتحان وساق من الأدلة والبراهين على حسن سيره وسلوكه، مؤكدًا بذلك تخطيه كل العقبات والمعوقات في طريقه وانتصاره بفضل الله تعالى على عدوه اللدود الذي كان له بالمرصاد!

وحوض نبينا محمد ﷺ حوض عظيم ومورد كريم يُمدّ من شراب الجنة من نهر الكوثر، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: "**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من**

اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا " [1] .

ورسولنا ﷺ سيكون على حوضه في انتظار الناجحين الذين درسوا منهجه واتبعوه ليقدم لهم الجائزة، أمّا من غشّ أو كسل، وبدّل أو فشل، فنصيبه الحرمان، ففي الحديث: **"أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يُحال بيني وبينهم"** فيقول النبي ﷺ: **"إنهم مني، فيقال:إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقا لمن بدّل بعدي"**[2] .

أما حوض دنيانا فإنه يوجد في كل بيت تقريبًا خاصة البيوت الحديثة والتي يأخذ الحوض فيها شكلاً جميلاً ويمثل درجة عالية من جودة الصنع، ويلحق به كما نعرف صنبورًا للماء البارد وآخر للساخن وهو بهذا الشكل يشجعنا على النظافة وكثرة استعمال الماء، وغالبا ما نستخدمه في الوضوء، فننصرف من أمام الحوض وقد غفر الله لنا الخطايا التي اكتسبتها أعضاء الوضوء.. قال ﷺ: **"إذا توضأ العبد فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من أظافر رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة"**[3] أي زائدة .

وعندما نرى الحوض نتذكر تلك النعمة العظيمة التي جعل الله منها الحياة.. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:30].. إنها من أجلّ النعم

(1) رواه البخاري .
(2) رواه مسلم .
(3) رواه النسائي .

وأكبرها فبه قوام الحياة للنفوس والأبدان، ومَن فقَد الماء فقد معه هذه الحياة، وقد امتنّ الله علينا بتلك النعمة فقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة:68:70] . والشكر يكون بالمحافظة عليه وعدم الإسراف في استخدامه أو إراقته بلا فائدة، والإنفاق منه للمحتاج، ولا أدلّ على ذلك من أن الله تعالى وعد بالأجر العظيم لمن يحفر بئر ماء يرتوي منه العطشى ويدبرون شئونهم، فقد قال رسول الله ﷺ: **"من حفر ماء لم تشرب منه كبد حرّى من جنّ ولا إنس ولا سبع ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة"** [1]. ولقد غفر الله لرجل سقى كلبًا وجده يلهث من شدة العطش.

أمرنا الله بالتوسط في الطعام والشراب فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31].. وعلمنا رسولنا ﷺ كيف نشرب فقال: **"لا تشربوا واحدًا كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسمّوا إذا شربتم، واحمدوا إذا رفعتم"** [2]. ونهانا أن نشرب في آنية الذهب والفضة فقال: **"إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يُجرجر في بطنه نار جهنم"**[3] .

والماء وإن كان يصلنا بسهولة ويسر ونشربه عذبًا فراتًا، و نراه صافيًا نقيًا، إلا أن هذا لا يعني أن نتركه يسيل بسرف دون أن نستفيد منه أو نُفيد، ومن المؤسف أن البعض لا يحسن استخدامه، فقد يترك الصنبور مفتوحًا أوْ لا يحكم إغلاقه، والبعض الآخر يسرف في وضوئه وغسله، وثالث يبعثره على سيارته أو في حديقته بإسراف، وينسى أن هناك من الناس من يموت في سبيل الحصول على قطرة ماء هو في الحقيقة أراقها بغير حق وسيسأل يوم القيامة عنها.

---

(1) رواه البخاري .

(2) رواه الترمذي .

(3) رواه مسلم .

10

دفتر المحاسَبة



أفاق من نومه فزعًا وقلبه يدق دقات سريعة متلاحقة، وصدره يعلو ويهبط، جلس على سريره وهو مضطرب النفس ليرى في المرآة أمامه وجهًا شاحبًا تحيط به سحابات كثيفة من الهمّ والقلق والتوتر، نظر تلقائيًا لذلك الوجه فرأى نفسه وهو ينظر إليها مفكرًا في حزن لا قرار له، ونبضات قلبه المتتابعة تصيح فيه.. لقد مضت عجلة الحياة وهي تحدث أصواتًا عالية صاخبة، يدق ناقوسها إيذانًا بقرب الوصول إلى المحطة الأخيرة!

لقد جاوز العقد الخامس من عمره المليء بالأحداث والشجون والأحزان، والتي كانت بالطبع تختلط بغيرها من الأيام السعيدة والمناسبات السارة، وتلك هي الحياة الدنيا لا تصفو لأحد ولا تخلو من كدر.. فلقد ترعرع ونشأ يتيما في رعاية والدته التي ما كلّت ترعاه وتحفظه وتربيه على مكارم الدين القويم، ومرت السنون وإذا هي تصنع منه إنسانًا ناجحًا مرموقًا، مؤكدة بذلك قول الشاعر:

ليس اليتيـــم من انتهى أبواه

من همّ الحياة وخلفاه ذليلا.

إن اليتيـــم هـو الذي تجـد له

أمًا تخلّت أو أبًا مشغـــولا.

تنهد تنهيدة طويلة، وأخذ نفسًا عميقًا وهو يستجمع ذاكرته، ويسترسل تلك الذكريات.. آه.. ما أسرع مرور الأيام، وما أعجب تلك الأقدار التي لو لم يكن المرء موقنًا بضرورة الإيمان بها لذهب فكره بعيدًا، كرّر النظر إلى المرآة فرأى وجه رجل تبدو عليه تجاعيد الأيام وخطوط السنين.. تنهد وهو يسأل نفسه: كم من

العمر قضيته وأفنيته يظهر محفورًا على أرض وجهي أحصاه الله ونسيته أتمنى أن يعود.. وكم من الأيام نقطعها وهي التي تقطعنا.. ماذا أعددت في مشوار الحياة الطويل القصير.. تمنى أن تسير العجلة إلى الوراء ليستدرك ما فات، وليعود شابًا غضًا.. فتيًا قويًا.. وتذكر قول أبي العتاهية حين قال:

بكيتُ على الشباب بدمع عيني
فلم يغن البكاء ولا النحـيب.
فيا أسفًا أسفت على شـــباب
نعاه الشيب والرأس الخضيب.
عريت من الشباب وكنت غصنًا
كما يعرى من الورق القضيب.
فيا ليت الشـــباب يعـود يومًا
فأخبره بما فعل المشـــيب.

تذكر ذلك ففاضت عيناه بالدموع طارت نفسه وحلّقتْ في سماء التوبة، وسَمَتْ إلى علياء المحاسبة، وامتطتْ طائرَيْ الخوف والرجاء.. إنها لحظات صادقة يضطرب فيها الفؤاد ليسكن، وتدمع فيها العين لتنجلي غشاوة الغفلة من عليها، وتذلّ فيها النفس لتنال العزّ والقرب.. لحظات يجعل المرء فيها من نفسه على نفسه قاضيًا وشاهدًا ومتهَمًا فيسجد ويقترب!!

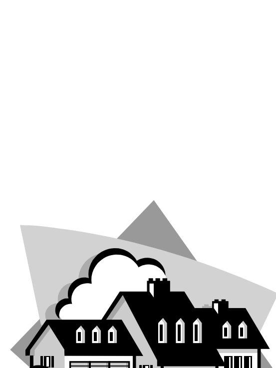
مالتْ معه الذكريات ومال معها إلى أيام شبابه الأولى وتذكر أعماله فيها، يميل به جناح الخوف تارة فيجد نفسه شابًا مرت به أيام ضيع فيها من أوقاته الغالية، وأهدر فيها من أنفاسه النفيسة، قضاها لم يعطها حقها من الحفظ والجدية... كم نظرة نظرتها في غير حلّ سترها الله.. كم كلمة تلفظتُ بها في غير مكانها أحصاها الله.. وكم خيرًا أخّرتُ وكم سيئة ارتكبتُ..كم من الوقت ضيعتُ ولهوت.. قد سوّفتُ عملاً وأجّلتُ واجبًا وتكاسلتُ عن طاعة.. تذكّر ذلك كله فشحب

وجهه وانقبضت نفسه فإذا بميزان الرجاء يهتز ويرجح ويهتف به طائره يذكره بتوبة الله عليه.. لئن كنتَ عصيتَ فقد أطعتَ، ولئن كنتَ أجّلتَ خيرًا فلقد أنبْتَ وأسرعتَ، ولئن أسأتَ مرات فلقد أحسنت بعدها.. و﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:114] .. قد كنتَ شابًا قوي البنية مرهف الحس خدومًا للناس.. كم أعنتَ ضعيفًا وساعدتَ من محتاج.. كم أطعمتَ مسكينًا ورحمتَ يتيمًا وسابقتَ إلى الخيرات.. واصل هاتف الرجاء هتافه به وقد هدأت نفسه.. ها أنت تحب الناس، وتحب الخير لكل الناس، ويحب منك لهم، ومن إحساس بهم، قم فانفعهم، وابغِ الإخلاص.

سارت به قافلة الذكريات وتوقفت عند لحظته تلك.. بعد فترة شبابه.. ليجد نفسه يملك وقت فراغ ليس بالقليل، خاصة بعد زواج أولاده، قد يقضي شطرًا كبيرًا منه أمام شاشة التلفاز.. يتنقل بين أروقة محطاته الفضائية من برنامج لآخر.. وبرغم أن معظم ما يراه نافعًا إلا أن نفعه لا يتعدى شخصه هو.. ومع توقف القافلة انتبه وانتفض جسده، وصحَتْ روحه وهو يردد ويقول: لن يكون ذلك بعد اليوم.. لستُ في حاجة لهذا التقاعد.. أين أنا من مواساة المحتاجين والمحرومين.. أين أنا من زيارة المرضى ودعمهم، ومن مؤازرة المصابين والمنكوبين.. لِمَ لا أعطي للمعاقين قوة وإرادة بنور كلمات الله الطيبات.. لِمَ لا أكفل الأرامل والأيتام وأجعل من نفسي لهم أباً وجدّا.. أعلّم من لا يقرأ ولا يكتب وأتلو عليهم آيات الله.. أزرع في قلوب أحفادي غرس الإيمان وأبذر فيها بذور اليقين فتكبر معهم حين يكبرون!

عاد الشباب إلى قلبه فجأة، وكأنّ سِني عمره الكثيرة منحته قوة وعمرًا آخر! أحس أن الشيب ليس بظهور الشعر الأبيض، ولا بالتقاعد عن الوظيفة، لكن الشيب الحقيقي هو شيب القلب! أما صاحب القلب الشابّ فهو شابّ وإن شابَ شعر رأسه! فقرر أن يعيد لقلبه شبابه ويعود شابًّا من جديد..

سَمَتْ روحه وصفَتْ نفسه في آفاق التوبة.. بعد أن فتح دفتر المحاسبة لذاته بصدق وإخلاص.. بعد أن جعل من نفسه على نفسه محاسبًا ورقيبًا.. أحسّ بذله وعبوديته لمن بيده نواصي العباد.. تاقتْ نفسه لعمل ما يرضي مولاه.. شمر عن ساعديه وقام للوضوء وهو يردد.. الحمدلله.. لا زلتُ حيّا.. هيا يا نفس اعملي.. فلا زال في عمرك بقية وأمامك الفرصة فلا تضيعيها.



11
دولاب "خزانة الملابس"

لقد ضجّ بما فيه بعد أن كان يشكو الوحدة والفراغ، واشتكى من التخمة بعد أن كان سمته الهزال، ولطالما تمنى أن يشبع ويملأ بطنه من الحلال، ويكون له محبون من الرجال والنساء والأطفال، لكنه اليوم حزين إذ صار يعجّ بمزيد من الملابس والأزياء من كل نوع ولون، ومن كل مقاس وذوق، ومن كل جنس وبلد، ولكل طقس وجوّ، يفتح الأبواب لكل طالب، ويلبي حاجة من أتاه.. لك الله أيها الدولاب الطيب فمنذ وطئت أقدامك أرض الغرفة وأنت تئنّ تحت وطأة الأثقال والأحمال، وتشتاق إلى أيامك الخوالي حين كنت خفيفًا نشيطًا محل أنظار الجميع من الراغبين في الشراء.

الدولاب -يا أصحاب- من أثاث البيت اللازم والذي لا يخلو منه بيت في هذه الأيام، ولا يهمله غني أو فقير، أيّم أو متزوج، رجل أو امرأة. وإن اختلفت أشكال الدولاب وتفاوتت محتوياته إلا أنه قطعة أساسية في جهاز كل عروس، وقد خضع هو الآخر لموجة الموضة وطوفانها القاتل حتى أصبحت منه أشكال وألوان ولم يعد عمله مقتصرًا على حفظ الملابس فحسب، وإنما صار قطعة ديكور جميلة، وتحفة فنية ذات قيمة، وضع فيها صانعه مهارته العالية ودقته المتناهية وذوقه الرفيع، مع بصمات الزخرفة الإسلامية والفنية عليه، ولا ضير في ذلك ما لم يشدنا إلى حد الإسراف المذموم أوالترف الممقوت.

والدولاب يذكرنا بالزينة وستر العورات فقد حوى ما نتزيًّا به ونستتر، كما أنه يحثنا على شكر الله عز وجل بما أنعم علينا من فضل وإحسان، ومن ملابس نتجمل بها ونزدان، ويذكّر القلوب الطيبة بالفقراء من الإخوان. ولا شك أننا جميعا نحب الزينة والجمال.. إلا أن لكل شيء في ديننا ضوابط وشروطًا، وكل نعمة لها نصيبها من الشكر والعطاء والإحسان، وقد بين لنا رسول الله ﷺ ذلك

فقال: **"كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة"**(1) .
ولذلك كان إذا استجدّ ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداء ويقول: **"اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره، وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره، وشر ما صنع له"** (2) .

واللباس منه ما هو فرض وما هومستحب، ومنه ما هو مباح ومكروه ومحرم، فالفرض ما يستر العورة ويدفع البرد والحر، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[الأعراف:31] ، والمستحب مايحصل به أصل الزينة وإظهار النعمة، كما قال رسول الله ﷺ: **"إن الله يحب إذا أنعم على عبد نعمة أن يرى أثر نعمته عليه"** (3). والمباح هو الثوب الجميل للتزين وخاصة في الجمع والأعياد والمناسبات لقوله ﷺ: **"ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته"** (4) . أما المكروه فهو لباس الكبر والخيلاء كما جاء في الحديث المذكور، واللباس المحرم هو الحرير للرجال، لقول النبي ﷺ: **"حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحل لإناثهم"**(5) .

وينبغي لمن أراد أن يلبس ثيابه أن يتأدب بآداب اللباس فيبدأ باليمين اقتداء بالنبي ﷺ فقد **"كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله"** (6) . وإذا أراد أن يخلعها فليسمّ الله تعالى ويبدأ بالجانب الأيسر، وأن يلبس الرجل الملابس التي تليق به كرجل، والمرأة كذلك تلبس ما يناسبها كامرأة. قال رسول الله ﷺ: **"ليس منا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال"** (7) .

---

(1) رواه البخاري .
(2) رواه الترمذي .
(3) رواه البيهقي .
(4) رواه أبو داود .
(5) رواه أحمد .
(6) متفق عليه .
(7) رواه أحمد .

وعلى الجميع الحرص على الاعتدال والقصد وعدم المغالاة في المظهر أو في ثمن الثوب، فالتوسط سمة لازمة لشريعتنا السمحاء. كما أن على كل امرأة مسلمة إذا خرجت من بيتها أن يستوفي ثوبها حقه من الشروط الشرعية له والتي حددها العلماء ولخصوها في:استيعاب جميع البدن إلا ما استثني، ألا يكون الثوب زينة في نفسه، وأن يكون صفيقًا لايشف، فضفاضًا غير ضيق، لا يشبه لباس الرجل ولا لباس الكافرات، وليس مبخرًا أو مطيبًا أو لباس شهرة.

مَن وقف أمام الدولاب ليختار ما يلبس فليتذكر الفقراء والمحتاجين ويعطيهم مما أعطاه الله، وحبذا لو قام كل منا بحملة تزكية لملابسه كل مدة من الوقت فاستغنى عن بعض منها لعارٍ فكساه، أو فقير متعفف فأعطاه، أو يتيم محتاج فسدّ حاجته، وقد حرص الإسلام على ذلك فجعل من الكفارات كسوة المساكين ككفارة اليمين وغيرها، وحث رسول الله ﷺ المسلم على كسوة أخيه وستر عورته فقال: **"ما من مسلم كسا مسلمًا ثوبًا إلا كان في حفظ من الله ما دام منه عليه"** [1]. ومع عظمة هذا الحديث وروعته إلا أن بعضنا قد يتكاسل عنه وعندها تصاب خزانة ملابسنا بالسمنة المفرطة وتحتاج بالضرورة إلى ريجيم! فلماذا؟

ألا يوجد في أسرة كلّ منا محتاج أو فقير؟

ألا يسكن بالقرب منا جارٌ به عوز وفاقة؟

أمَا توجد جمعيات خيرية إغاثية تقوم بهذا الواجب بدلاً منا؟

إن الأمر سهل وليس بالعسير خاصة إذا تذكر كل إنسان رجلاً أو امرأة كان، أنه لن يحق له أن يأخذ معه إلا ثلاثة أو خمسة أثواب حين يخرج من دنياه!!

ومن الدولاب نأخذ درسًا تربويًا نعلمه الأولاد فنحثهم على الإنفاق مما يحبون من لباسهم، تارة بالجديد منها وأخرى بالقديم، مع ضرب الأمثلة لهم بما يعانيه

(1) رواه الترمذي .

إخوتهم الأطفال ضحايا الحروب والصراعات في أى مكان، ومحاولة إدخال البسمة عليهم بكسوتهم خاصة في العيد. وإذا ما امتدت يدي ويداك إلى الدولاب لتلبس وتتزين بها أعطاك الله فقل من أعماق قلبك: **"الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس"**[1] .



(1) رواه الترمذي .

12

راديو (المذياع)



إنه يتحدثُ إليك أينما كنتَ وتسمعه حيثما سِرت، ويخاطبك بكل اللغات.. يسمعه المتعلم والأمّي.. الرجل والمرأة.. الكبير والصغير.. لذلك فهو يشارك في صياغة الأمة، ويساعد في صنع النهضة، إذ يبني فكرًا، وينمي عقلاً، ويغرس غرسًا.. ومن هنا كانت أهمية الإذاعة لأنها اللسان الناطق لكل شعب، والصوت المسموع الذي يتحدث بلغة كل أمة، وبناء على هذا فقد أنشئت المحطات الإذاعية المتعددة لتنقل لي ولك ما يدور حولها من أحداث محلية وعالمية تصلنا بالداخل والخارج، ولتبث لنا عبر الأثير ما يجهز فيها من مختلف البرامج الثقافية والترفيهية والدينية، لذا فقد يزرع هذا المذياع في نفسك الطمأنينة والثبات، أو يلقي في روعك الفزع والاضطراب تبعًا لما يذيع لك من أخبار وحكايات، وأفكار وروايات، أنت في حقيقة الأمر مخيّر في أن ترهف لها السمع أو تسمعها بلا إنصات.. وكأني به وهو يناديك ويتحدث إليك وجهًا لوجه ليكلمك بتلك الكلمات مارًّا بكل الجبهات، فمن محدّث بليغ إلى خطيب بارع، أو مذيع للأخبار فصيح، ومن لغو الحديث ولهوه إلى آي من الذكر الحكيم، ومن أنشودة عذبة إلى خبر حزين، وهكذا له حال في كل حين يعرفها القريب والبعيد، إلا أن هذا لا يعفيك من المسئولية عند الاختيار، وما عليك إلا أن تضع يدك على مفتاحه وتضغط برفق لتحصل على ما تريد! إنه سلاح فعال أكيد ومؤثر إلى درجة ما كبيرة، وقد كان إلى زمن غير بعيد مصدرًا أساسيًا لمعرفة آخر الأنباء، ومنبعًا لمختلف الثقافات والمعارف، والعلوم والآراء، يمدك بما ترغب وأنت في هذا كغيرك، إذ الكلّ مشدود إليه، معجب

بفصاحته وبيانه وحديثه إليهم بدون لسان! نعم.. إنه ذاك الجهاز المسمى **"بالراديو"** أو قُل **"المذياع"**.

وبالرغم من ظهور بدائل في العصر الحديث أكثر إثارة منه وأعلى تقنية، تجعلك تعيش مع الأحداث صوتًا وصورة ونقدًا وتحليلاً إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر تلك الحقبة التي كان فيها المذياع هو الأصل والأساس، ولا زال له تلك المميزات التي تؤهله للخدمات الميسرة للناس، فمثلا تجده تزود به كافة السيارات فتسمعه بيسر وسهولة دون أن يعوق عن قيادتها، كما يمكن حمله لصغره في الجيب أو في حقيبة اليد في أي مكان، وقد تطور بدوره وسار مع موجة التطور التكنولوجي كغيره من الأشياء حتى أصبح منه المُحلّى بالساعة والمُصاحِب للمسجّل، والملحق بالتليفون المحمول، بكل الأحجام والألوان والأشكال.

أما ما يحويه من درر البيان والحكمة والتبيان ففيه من العجب ومن الخير الكثير، وكفي هذا الجهاز فخرًا أنه يتحلّى بإذاعة خاصة بالقرآن الكريم تحيا معه ليل نهار، كما أنه يمكن أن يسخر لتربية النشء بطريقة سليمة من خلال توعية الأسرة التوعية الصحيحة، وهو ينقلك من عالمك الذي تعيشه إلى عالم آخر ترى فيه الناس من خلال الكلمات، وتعيش مع إخوانك في كل مكان تعرف أحوالهم وتطلع على ما يؤلمهم ويكدر صفو حياتهم فتتداعى لهم وتدعو، وتشاركهم وتخفف من معاناتهم، وبالرغم من توالى الأحداث في هذه الأيام وسرعتها العجيبة وتغير الأحوال بطريقة ملحوظة إلا أن بإمكانه إيصال الصورة كاملة غير منقوصة، وتلك له حسنة وميزة. هذا عن الجانب الإيجابي فيه.. فماذا عن الوجه الآخر لهذا الجهاز؟

في الحقيقة إنه كغيره من وسائل الإعلام، والجهاز نفسه لا غبار عليه ولا تعليق، إنما النقص قد يطرأ على ما يقدم فيه من مواد هي خلاصة عادات الشعوب وتنبع من معتقداتهم وتتبع دينهم ومنهجهم في الحياة، مما يجعل هذه المواد في

حاجة مستمرة للتنقية والتنقيح بوعي وإدراك وعلم وبصيرة، وهذا يتطلب من المسؤولين تطوير ما يقدم فيه باستمرار وإيصاله للمستمعين بطريقة مبتكرة، مع إيجاد الكفاءات العالية للعمل في هذا المجال، والتدريب المستمر لها المصاحب للحد الكافي من العلم لأداء رسالتهم تلك، وبذلك يكون الراديو وأمثاله أدوات بناء لا هدْم، ووسائل علم لا جهل، وتقدم وحضارة ومدنية، كل ذلك باستقلال تام دون تبعية لشرق أو لغرب، بل بما يناسب ديننا نحن وعاداتنا وتقاليدنا الأصيلة إذ الكلمة أمانة ومسئولية.

من استمع لما ينقله المذياع من شتى البلدان يجد له لسانًا يتحدث لصالح من أطلق له العنان دون ملل أو كلل، ومن هنا كان للراديو آفات تنتج عن سوء الاستخدام، وله أمراض تحتاج منا إلى تشخيص وعلاج، وإذا أردنا أن نلقي نظرة على بعضها لوجدنا أقربها وأسرعها إلى الأذهان مرض الأفكار السرطانية التي قد تبُث بحجة الإصلاح والتغيير مما يستدعي ويتطلب منا الحذر من أن تكون هذه القنوات ثغرة لأي عدو ينفذ من خلالها وينقل عبر أثيرها ما يشاء فيسمّم الأجواء بمزيد من السموم التي تزكم الأنوف من أفكار خاطئة تسلك الطريق لغزو العقول خاصة في محيط الأطفال والشباب إن لم يكن عندهم حصانة دينية ضد ما يقال، فتحدث فيها الخلل والبلبلة وذلك لأنها أفكار مستوردة ليس لديننا فيها نصيب، وهي مرفوضة من كل ذي دين حصيف. وخذ مثالاً على ذلك فإذاعة "**سَوَا**" الأمريكية التي استهلت بثها المباشر في مارس 2002 م على موجة إف إم، وهي تبث برامجها باللغة العربية الفصحى وبعدة لهجات محلية، هدفها في المقدمة شباب العالم العربي، وتقدم لهم كافة البرامج من أخبار وأغاني وموسيقى لكن على الطريقة الأمريكية!

كما يجب أن لا نغفل أيضًا عن مرض الشائعات الخطير، وما أسرع عبورها من خلال قنواته، يقوم بافتعالها المرجفون، ويروج لها المغرضون، وتبلغ الذروة في

الخطورة إذا ما تحولت إلى حرب نفسية تؤجِّج وقت الفتن والحروب، وما أكثر تأثيرها حينئذٍ على السامعين الذين يتلقونها دون تثبت أو تبيان، ويتناقلونها فيما بينهم في المجالس والطرقات، وما أشد خطورة الاستماع إلى تلك الأراجيف، وقد ذمّ الله تعالى قوما كانوا لا يبالون ماذا يستمعون بل ويكثرون من سماع الكذب والباطل، وربط سبحانه وتعالى بين ذلك السماع وبين أكل السحت فقال: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [المائدة:42]. فينبغي أن يتذكر المرء منا أن لأذنه رسالة، وأنها مسئولة أمام الله، وأن للسماع آدابًا وأحكامًا تنهانا عن تصديق كل ما يقال أو يلصق بالغير ربما زورًا وبهتانًا، وإذا ما سمعنا فلنتأدب بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات:6].

وأخيرًا فإن دور القائمين على تلك الإذاعات عظيم وهم مسئولون أمام الله تعالى عما يقدمونه للناس، لأنهم على ثغرة من ثغرات الإسلام فليقدموا للناس الحقائق جميعها بشفافية وصدق دون زيف أو خداع خاصة فيما يتعلق بمصائر الشعوب ومصالح الناس فيها، حتى لا يتكرر ما حدث في أيام نكسة 1967 م حين عاش الناس في سكرات النصر المزعوم المبثوث لهم عبر موجات المذياع حتى فوجئوا بالحقيقة المرّة المناقضة تمامًا لما سمعوه وتلقوه مشافهة من مختلف الإذاعات الخاصة بنا، وليحذروا أن يؤتى الإسلام من قبلهم، وليعلموا أنهم في مجال دعوة وجهاد بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والفكرة الصحيحة المضادة لكل غزو فكري مضلل يقال أو يذاع ليس بالضرورة في قنواتنا المحلية بل في أي قناة أخرى، فغاية رسالتنا تصحيح الأفهام وجلاء الأذهان وتعبئة القلوب بما ورثناه عن أسلافنا الأعلام من هذا الدين الصالح لكل زمان ومكان.

13

ساعة



يحرص بعض الناس على أن يضع ساعة كبيرة في صدر المنزل يراها كلما غدا أو راح، قد تكون للزينة بشكلها الجميل، وقد تكون هامة لمعرفة أوقات العمل والدوام، ومنهم من يراها جزءًا مهمًا وضروريًا لإكمال الديكور!

فهل تذكرنا تلك الساعة بشيء ما؟

وهلا تفكَّرنا كلما نظرنا إليها فاستنتجنا شيئًا؟

إن دقاتها المنتظمة تشبه إلى حد كبير دقات قلوبنا!

كما أن هناك ارتباطًا وثيقًا بينهما.. فمع كل حركة عقرب من عقارب الساعة، ومع كل دقة قلب ونبضة من نبضاته يهتف بنا الجميع:

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثواني.

ثم إنه قد يأتي على تلك الساعة لحظات تضطرب دقاتها وتحتاج إلى شحن أو بطارية، أو صيانة وإصلاح وإلا تعطلت عن عملها وتوقفت عن مهمتها، كقلوبنا تمامًا حين تصدأ ويعلوها الران ولا يجلوها حينئذٍ إلا ذكر الله عز وجل والعودة إليه سبحانه.

أول من اخترع الساعة هو العالم المسلم **"عباس بن فرناس"** وسماها **"الميقاتة"**، وقد أهدى الخليفة هارون الرشيد سنة 191هـ ساعة إلى أحد ملوك أوروبا وكانت مصنوعة من النحاس الأصفر بمهارة فنية عالية.

كانت الساعة ولا زالت أداة تنبيه للمرء للمحافظة على وقته وتنظيم شئون حياته، فبها يعرف العامل وقت عمله، والطالب وقت دراسته، وبها يحدد الطبيب

للمريض موعد تناول دوائه ليحافظ عليه، كما يعرف بها الآن مواقيت الصلاة ، ومواعيد السفر، وغير ذلك من حاجات وضرورات لا غنى لنا عن الساعة فيها.

وإذا كان في الساعة ستون دقيقة، وفي الدقيقة ستون ثانية، إلا أن كل ثانية تمر من عمر الإنسان لها قيمتها ولا يستطيع أن ينكر ذلك إلا معاند أو غافل لاه.

وكما قيل: إذا كان من السنّة أن يؤذن في أذن المولود اليمنى وتقام الصلاة في الأذن اليسرى فكأن الشارع الحكيم يقول له: يا ابن آدم إن عمرك كما بين الأذان والإقامة!

وكما قال الشاعر:

يَسُرُّ المرء ما ذهب الليالي

وكان ذهابهن له ذهابا.

ولذلك يقول ابن القيم - رحمه الله-: السنَة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة.

وكان الحسن البصري - رحمه الله- يقول : عجبًا لقوم أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم على آخرهم وهم قعود يلعبون .

تأتي على الإنسان ساعات مختلفة في حياته يتقلب فيها بين الخير والشر، والصحة والمرض، والعافية والبلاء، وقد يعايش فيها الضدين في آن واحد، فمن ساعات الفرح والسعادة كالأعياد والمناسبات السارة من نجاح أو زواج أو بشارة بمولود، والتنعم بنعم الله من رزق حسن وصحة بدن وقرة عين بذرية طيبة، إلى ساعات الابتلاء أيًا كان نوعه من مرض أو فقد عزيز، أو ضياع مال أو ذهاب منصب، أو أيّ نوع من أنواع الحرمان، ولا يسَع المؤمن إلا أن يكون راضيًا شاكرًا في حالات الرخاء، وراضيًا صابرًا محتسبًا في حالات البلاء، وبذلك يتحقق إيمانه الذي هو قسمان، شكر وصبر.

وقد وردت كلمة (**ساعة**) في القرآن الكريم، كما وردت في السنة المطهرة، فتارة تأتي تذكّر الإنسان بأجله المحتوم الذي لا يؤخر، كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:34].

كما يأتي ذكر (**الساعة**) في القرآن الكريم كاسم من أسماء يوم القيامة، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد:18].

وكذلك ذكرت كلمة (**ساعة**) في مقام الحشر ووقت الحساب، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس:45] .

هيا بنا نؤمن ساعة: لذا فإنه من الواجب على المرء أن يقسم أوقاته إلى ساعات، وأن يجعل لكل ساعة نصيبها من العمل، فساعة لنفسه يصلح من شأنها، وساعة لأهله يقوم بحقوقهم، وساعة لربه يناجيه فيها، وينبغي كذلك ألا يخلط بين وقت الهزل والجد، وإنما لكل ساعة عملها، وإذا أراد أن يروّح عن نفسه ففي ديننا فسحة وقد قال النبي ﷺ: **"ساعة وساعة"**[1] .

إن المسلم يرتبط بهذا الكون ارتباطًا وثيقًا، وكل شيء فيه يذكره بخالقه وبالمهمة التي من أجلها خلق، وإذا كان البعض ممن يحتفلون برأس السنة الميلادية، ينتظرون بفارغ الصبر ميلاد عام جديد ببلوغ الساعة الثانية عشر ليلاً، وهم في لهوهم ولعبهم يخوضون، حتى إذا ما دقت الساعة بدؤوا يومهم وعامهم الجديد بلهو أكبر ولعب أكثر شأنهم شأن الفارغين الذين لا يعبؤون بساعات أعمارهم ويفرحون بالسنين وهي تقطعهم، فيختمون عامًا مضى بالمعاصي ويسستقبلون ما أتى باللهو!

(1) رواه مسلم .

أما الذين أنعم الله عليهم من عباده الصالحين فإنهم يختمون عامهم بالاستغفار والتوبة، ويبدؤون يومهم بذكر الله وبالصلاة، وينهونه مع غروب شمسه بالتسبيح، تتعاقب عليهم ملائكة الليل والنهار وهم على ذلك، ومع تنفس كل صبح جديد همّة واغتنام للأنفاس والثواني واللحظات، وهكذا كل ساعات المؤمن إما في عبادة تزيد من اليقين أو في عمل نافع من أمور دنياه يصب في وعاء الدين وهو مع هذا أو ذاك في طريقه إلى الله يسير، وكل أعماله في ميزان حسناته التي تربو وتزيد.. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت:46].

ورحم الله الحسن البصري حين قال: **(ما حليت الجنة لأمة ما حليت لهذه الأمة ثم لا ترى لها عاشقًا)**

فكن من عشاق الجنة.. فالدنيا ساعة.. اجعلها طاعة.



14

ستارة



أسكن في بيت متواضع من البيوت البريطانية، وأذكر أنني حين قدمت لهذا البلد منذ زمن هالني وأزعجني منظر نوافذ الغرف في البيت، إذ أنها تختلف اختلافًا كبيرًا عنها في البيوت العربية، وقد تشغل واجهة كاملة من نواحي الغرفة، وكلها من الزجاج الشفاف الذي يظهر ما خلفه من الخارج ويكشف ما أمامه من الداخل مما يعطيك الإحساس أنك تعيش في الشارع، فكل شيء مكشوف ما لم تكن على النافذة ستارة!

إن الستر بلا شك نعمة عظيمة من الله تعالى، وكم نحتاج جميعنا لستره فيسترنا، ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من فقدها، لذا كان من دعائه عليه الصلاة والسلام **"اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي"**(1) .

إن كشف العورات شيء مؤلم مخزٍ يقضّ مضاجع الآمنين فيعيشون في رعب أشبه بالموت وما هو بالموت، لذا فقد قال الرسول ﷺ: **"من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة"** (2) .

من فقد نعمة الستر ولو للحظات أحس بعظم جريمة هتك ستر الناس وتتبع عوراتهم، وعرف مغزى ذلك الوعيد لهاتكي الأستار في قول الرسول ﷺ: "من كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته"(3) ، ومن رأى

---

(1) رواه أحمد .

(2) رواه أبو داود .

(3) صحيح ابن ماجه .

إخوانه المدنيين في الأراضي المحتلة حين تهدم بيوتهم، وتهتك أستارهم، ويقتحم عدوهم المحتل حرمتهم بلا أقل اكتراث، معرِضًا عن أدنى حقوق الإنسان من الستر المطلوب، وكذلك غيرهم من المشردين في أنحاء الأرض، وهم جميعًا يفترشون الأرض ويلتحفون السماء يأسَ ويحزن لحالهم، ويودّ لو يستطيع سترهم، وينكر ذلك العبث بحقوق الآخرين، ويشعر في قرارة نفسه بفضل الله عليه حين جعل له بيتًا يأوي إليه ويستتر فيه، كما قال في كتابه الكريم: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا﴾ [النحل:80] .. أي سكنًا تأوون إليه وتستترون به.

والستر: يعني التغطية، ومنه الستارة، وهو إخفاء ما يظهر من عورات الناس وزلاتهم وعيوبهم، والله تعالى يحب الستر، ففي الحديث الشريف: **"إن الله – عز وجل – حيي ستّير يحب الحياء والستر"** (1) . وهو سبحانه يستر عباده المؤمنين يوم القيامة كما يسترهم في الدنيا.. قال رسول الله ﷺ: **"يدنو أحدكم من ربه، حتى يضع كنفه عليه، فيقول أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: إني سترتُ عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم"** (2). وحث رسول الله ﷺ على ستر المسلم أخاه، ورغب في ذلك، وبين جزاءه فقال: **"من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة"** (3) .. فلا أقلّ من أن تكون كالستارة في وظيفتها من ستر ما ينكشف من عورات!

ومن الستر: ستر المرء عورته عن أعين الغير.. لقول رسول الله ﷺ: **"احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك"** (4) .

(1) رواه أبو داود .
(2) متفق عليه .
(3) رواه ابن ماجه .
(4) رواه أبو داود .

ستر الأعمال الصالحة: بأن تجعل لك خبيئة من عمل صالح بينك وبين الله تعالى، من صدقة أو قيام أو غيره، ففي الحديث: "صدقة السر تطفيء غضب الرب"[1].

ستر المرء ذنوبه: قال رسول الله ﷺ: **"كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره ربه فيقول: يا فلان، قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عليه"**[2].

ستر الأسرار الزوجية: لقوله عليه الصلاة والسلام: **"إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشر سرها"**[3].

ستر الميت: لقول النبي ﷺ: **"من غسل ميتًا فكتم عليه غفر الله له أربعين كبيرة، ومن حفر لأخيه قبرًا حتى يجنّه (أي يستره) فكأنما أسكنه مسكنًا حتى يبعث"**[4].

الكفر و الذنوب ستائر تغطي القلوب: وكما تستر الستائر العورات فإنها قد تحجب بعض الضوء والنور لا سيما إن كانت صفيقة وكثيفة، حالها حال من يسترون نوافذ قلوبهم ولا يسمحون للنور بالعبور إليها، فيعيشون في الظلام!

وقد ذم الله من أغلق قلبه دون الإيمان والهدى، وحجبه عن سماع الحق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ [البقرة:88] أي مغشاة بأغشية لا تعي ما تقوله يا محمد.. وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:155].

(1) رواه الطبراني.
(2) رواه البخاري.
(3) رواه مسلم.
(4) رواه الطبراني.

أما عن الذنوب فقد قال رسول الله ﷺ: **"إن العبد إذا أذنب ذنبًا كان نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل، وإن زاد زادت، فذلك قوله تعالى: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"**(1) .

هذه هي الستارة التي نزين بها نوافذنا وبيوتنا ونستتر بها من عيون المتطفلين.. قد يبالغ البعض في تصميمها وقد يسرف في الإنفاق عليها لكنها في النهاية ستارة لا غنى لنا عنها ولا عن معناها، وما أحوج المرء منا أن يكون لأخيه كالستارة.

وإذا كنا جميعًا نعرف دور الستارة في الستر إلا أن كلاً منا يطمع ويتمنى أن يُرفع الحجاب بينه وبين رب العزة جل وعلا يوم الفوز بجنته ورضوانه، لينعم بالقرب منه ويرى وجهه الكريم لا يحجبه عنه شيء، كما روي عن رسول الله ﷺ حين قرأ **"للذين أحسنوا الحسنى وزيادة"** فقال: **"إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون:ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة "** (2) .



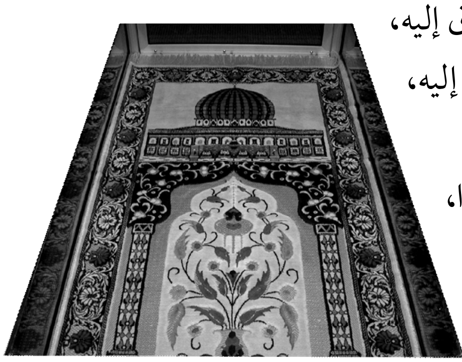
---

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه مسلم .

15

سجـــادة



إذا أردت القرب منه، وحَدَا بك الشوق إليه، وأخذ الحنين منك كل مأخذ... فاهرع إليه، واسجد واقترب..

وعندما تذهب بك الدنيا بعيدًا، وتنغمس في مشاغلها وزخرفها، فانفض يديك منها، واسجد واقترب..

وكلما ضاقت بك السبل، وادلهمّت الخطوب، وكثرت المحن، وأردت المخرج منها والخلاص، فالجأ إليه، واسجد واقترب..

ومتى ظهرت الفتن، وتشعبت بك الطرق، وأحاطت بك الشكوك وطاردتك الشهوات والشُّبَه، فاعتصم بالله، واسجد واقترب..

لا تكن كإبليس اللعين حين رفض السجود وعصى أمر مولاه، وأعطى لأتباعه أمره بعدم السجود لله، واسجد أنت واقترب..

في ظلام الليل ووحشته لا وحشة.. وفي نومة القبر ووحدته لا وحدة.. وفي فزع يوم الفزع لا فزع.. وعندما يخاف الناس لا خوف.. ما دمتَ تسجد وتقترب.

إن السجود لله تعالى هو غاية التكريم للإنسان حيث القرب في المناجاة، والذل في العبودية، والخضوع في الانقياد، وكسر الأنفة والكبر والإعجاب في إلصاق الأنف بالتراب.. وقد كان المشركون المستكبرون يأنفون من السجود فكان بعضهم يأخذ كفًا من حصى فيرفعه إلى جبهته ويكتفي بذلك عن السجود! أما سيد الخلق وأكرمهم عليه الصلاة والسلام فقد قال الله تعالى له: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العلق:19] ..

فالسجود هو غاية القرب من الله، كما قال رسول الله ﷺ: **"إن أقرب ما يكون العبد من ربه أن يكون ساجدًا"**[1] .

والسجود صفة لازمة لعباد الله تعالى، فهم: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾

[التوبة:112] .

ومن السجود اشتقت (**السجّادة**).. وهي صيغة مبالغة لكثرة السجود عليها، ومنه أيضًا كان "**المسجد**" وهو مكان السجود، وقد جعل الله لنا الأرض مسجدًا وطهورًا.

والسجادة هي الخُمرة ، والخمرة كانت تعمل من سعف النخل وترمل بالخيوط، وقد ثبت فيما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ صلّى على خُمرة، وهي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصير أو نسيجة خوص ونحوه من النبات. أما ما أحدثه الناس في هذه الأيام من زخرفة للسجادة فهو غير مستحب حيث أنه يلهي ويشغل المصلي ويقلل من خشوعه في الصلاة.

على هذه السجادة نسجد لله تعالى طاعة وعبادة، وخضوعًا وذلاً وإنابة، نطلب من الله الفضل والزيادة، وهذه صفة هذه الأمة التي اصطفاها الله تعالى على سائر الأمم، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾

[الفتح:29].

وعلى هذه السجادة تعنو الجباه لخالق الموت والحياة، فتحيا القلوب بذكر الله، وتُرفع الدرجات وتُحط السيئات، كما جاء في الحديث الشريف: **"ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة"**[2] ، وعليها يكون

(1) رواه مسلم .

(2) رواه ابن ماجه .

الساجد من أهل الشفاعة ومن مرافقي رسول الله ﷺ في الجنة، فقد قال رجل لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة، فقال ﷺ: **"أعنّي بكثرة السجود"** [1]. لذا كان الصحابة والتابعون وصالحو المؤمنين يحبون السجود ويحرصون عليه، ويكثرون منه، حتى أن علي بن عبد الله بن عباس كان يسجد لله في كل يوم ألف سجدة حتى أسماه الناس السَّجَّاد!

وكان " سعيد بن جبير "يقول : ما آسَى على شيء في الدنيا إلا على السجود.

والسجود فيه إغاظة للشيطان وإحباط لكيده ومكره فقد روي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **"إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار"** [2] .

وكما تذكرنا السجادة بالسجود فإنها تذكرنا أيضًا بنعم الله وبالقرآن، فهناك سجدة التلاوة، وسجدة الشكر، وسجدة الصلاة، وغير ذلك من السجدات. ولما كان السجود هو غاية القرب من الله تعالى فقد جعله ركنًا من أركان الصلاة المفروضة فلا تقبل بغيره،وكانت الصلاة تبعًا لذلك القرب مفتاحَ الراحة والسكينة للنفس، وكلما أراد الإنسان أن يقترب سارع وفتح الباب فإذا هو ساجد مقترب! قال **بكر بن عبد الله** : يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت، قيل: وكيف ذلك؟

قال: تسبغ وضوءك وتدخل محرابك، فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان.

ينبغي لمن يقف أمام الله على هذه السجادة أن يقف خاشعًا، وأصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته، وإذا خشع القلب تبعته في الخشوع بقية الجوارح، وفي الحديث:**"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح**

---

(1) رواه مسلم .

(2) رواه مسلم .

الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1] . وهو من صفات المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون:2:1]. وأصل الخشوع الحاصل في القلب إنما هو من معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله وكماله، فمن كان أعرف فهو له أخشع، أما من خشعت جوارحه وقلبه غافل فإن ذلك ليس بخشوع، وقد نظر عمر رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له: يا هذا، ارفع رأسك، فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب.

وقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من قسوة القلب فيقول: **"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع"** [2] . وأخبرنا أن الخشوع هو أول ما يرفع من هذه الأمة فقال: **"أول ما يرفع من الناس الخشوع "** [3] . ولأن الخشوع يحتاج إلى مجاهدة فقد رغبنا رسول الله ﷺ فيه فقال: **"من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه"** [4] .

وبين أهميته فقال:

"إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها"[5]. فحث على حضور القلب وخشوعه فيها، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ.

ورغم كل ما قلناه في فضل السجود وضرورة الخشوع إلا أن الدنيا سلبت معظمنا حلاوة الطاعات ولذة الخشوع في الصلوات، وقد يسجد المرء في صلاته بلا اطمئنان وينقرها نقر الغراب، فهلا علمنا أن الصلاة التي تستوفي حقها من الخشوع وتنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر هي التي يقبلها الله، فأخذنا بأسباب

---

(1) رواه مسلم .
(2) رواه مسلم .
(3) رواه أحمد .
(4) أخرجه ابن شيبه .
(5) رواه النسائي .

الخشوع من الاستعداد للصلاة قبلها بوقت وتفريغ القلب من مشاغل الدنيا ووساوس الشيطان واللجوء إلى الله تعالى ليعصمنا من الغفلة. وهل نتذكر ما قاله حاتم حين سئل كيف تصلي؟ فقال: أقوم بالأمر وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبّر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع علي نفسي بالخوف، أخاف أن لا يقبل مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت.

فإذا رأيت السجادة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:98] ، وانضم إلى قافلة عباد الرحمن ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان:64] فإن كنت منهم فأنت من أصحاب الغرف الذين قال الله فيهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:75] ، وإن أصابتك النار بذنوبك فاعلم أن سجودك في الدنيا نجاة لك في الآخرة، قال رسول الله ﷺ: **"إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود"** (1) .

فعلى السجادة يطهر المرء وتصفو نفسه وتنتهي عن الشر، فيصلي صلاة العابدين الخاشعين، ويسجد سجود الطائعين المتذللين، فيصعد إلى الله الدعاء ويحصل القرب منه والصفاء، فاستعن بالله تعالى ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ [العلق:19] وقل من أعماق قلبك كما قال رسولنا الكريم ﷺ: **"اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين"** (2) .

---

(1) رواه البخاري .

(2) رواه مسلم .

16

سَــــرير



إنه أول ما تبحث عنه العروس حين تذهب لشراء أثاث البيت، وعادة ما تحرص على اختياره بنفسها، إذ أنه يرمز إليها ويعني أشياء كثيرة بالنسبة لها.. إنه سرير النوم.. ذلك الذي يفرق بين حياة مضتْ وحياة جديدة ستأتي.. بين حياة الوحدة وحياة الأنس.. بين حياة الفراغ العاطفي وحياة المودة والرحمة.. إنه إذن سرير الحبّ الحلال إن صحّ لنا أن نسميه بهذا الاسم مجازًا..

فوق هذا السرير سوف يمتزج الزوجان أحدهما بالآخر، وسيكون كل منهما لصاحبه غطاء ، ولأدوائه شفاء، وسيصيران جسدًا واحدًا وقلبًا واحدًا.. فوق هذا السرير سوف تكفَّر الذنوب وتغفَر، بالنظرة الرحيمة الصافية، واللمسة الرقيقة الحانية! قال رسول الله ﷺ: **"إن الرجل إذا نظر إلى امرأته، ونظرت إليه، نظر الله تعالى إليهما نظرة رحمة، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما"**[1] .

وعلى عتبات هذا السرير سيصعد الزوجان إلى مقام رفيع وعبادة راقية بعيدًا عن حياة الرذيلة والفاحشة، ففي الحديث الشريف: **"من أماثل أعمالكم إتيان الحلال"** [2] ، وسيكون كل منهما لباسًا لصاحبه خاصًا به طاهرًا جميلاً مناسبًا لذوقه وإرادته.. ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة:187] ، وسينبذ كل منهما ما يضرّ بتلك العلاقة من تطلع للغير أو إطلاق للبصر في غير حلّه، بما يتحقق لهما

---

(1) أخرجه ميسرة بن علي في مشيخته وصححه السيوطي – الجامع الصغير .

(2) رواه أحمد .

من عفة وإحصان، وسيتربعان فوق عرش الزوجية يتوّج جبين كل منهما تاج المحبة تحرسهما عين الرحمن التي لا تنام.

نعم.. إنه يشارك في إيجاد وصنع أمّة، ولمَ لا ونحن نلجأ إلى الله داعين: **"اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا"**.. ورسولنا ﷺ يقول: **"تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة"** (1).

كان سرير السيدة عائشة رضي الله عنها من خشبات مشدودة بحبال من ليف، عليه وسادة من جلد حشوها ليف، كان سريرًا بسيطًا لكنه كان أفضل الأسرّة فقد كانت صاحبته أحب النساء إلى قلب الرسول ﷺ ، وكان كل من الحب والرحمة يسكن تلك القلوب التقية النقية التي تنام عليه، فكم من نائم على سريره الفخم بغطائه الوثير وهو يتقلب كما تتقلب الورقة في مهب الريح، تهجم عليه قافلة الأرق والقلق ولا يغني عنه سريره شيئًا!

وكم من نائم ملء جفنيه لا يحس بمن حواليه قد هجم الشيطان عليه، وبال في أذنيه، والله تعالى غاضب عليه، والعباد والدواب تمقته وتلعنه وهو غافل لاهٍ عن ظلمه لنفسه ولعباد الله، غافل عن مولاه.. فهل هذا يكون نومًا؟!

كلنا يحرص على أن يرتاح في نومه على سريره، لكن راحتنا هذه مرتبطة ارتباطًا كبيرًا براحة البال والضمير والنفس.. انظر إلى سيدنا عمر رضي الله عنه حين اتخذ من الأرض تحت الشجرة سريرًا يقيل عليه، ومن ظلها غطاء يلتحف به ونام آمنا قرير العين، وصدق من قال فيه **(عدلت فأمنت فنمت)**.. إنها النفوس المطمئنة التي نامت عن الشر والظلم فارتاحت وأراحت .

وجود السرير يذكّرنا بالنوم، والنوم نعمة عظيمة من الله تعالى، لو سُلبها أحد لجُنَّ ولما ذاق طعم الحياة الطيبة، وقد جعل الله الليل والنهار آيتين وجعل لكل منهما وظيفته، فلا يجدر بنا أن نقلب الليل نهارًا بالسهر الطويل، ولا النهار ليلاً

---

(1) رواه البيهقي .

بالنوم والكسل.. قال الله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:73] .. على أنه من المؤسف حقًا أن يقضي بعض الناس الليل في لغو وسهر ولهو مما يضيع عليهم كثيرًا من الخير، أما عباد الله الصالحون فهم ينامون من الليل لكنهم ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[السجدة:16]..

وهم كذلك: ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:64] .. وسرير الزوجية له نصيب من ذلك الشرف العظيم، فعليه نامت أنفس تتعاون على طاعة الله تعالى. كما قال رسول الله ﷺ: "**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت،فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**" (1).. إنه سرير يشهد دعوة الخير والبر والطاعة، ويحمل معان وذكريات جميلة.

سرير المرض: إن دوام الحال ليس من سمات هذه الدنيا فكما يمر الإنسان بساعات الفرح تأتي عليه ساعات من الحزن، وكما يتمتع بالصحة والعافية يبتلى بالمرض فيضطر أن ينام على سرير آخر.. إنه سرير المرض وقد يكون ذلك في المستشفى وقد يكون بالبيت، وهنا تأتيه البشرى على حسن بلائه وصبره، فحوْل هذا السرير تطوف الملائكة، وتُردَّد الدعوات ممتزجة بآهات التضرع والحمد والرضا، وعلى هذا السرير تغفر الذنوب وتحط الخطايا، ففي الحديث: "**إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين، فقال انظرا ماذا يقول لعوّاده، فإن هو إذا ما جاءوه حمد الله، وأثنى عليه، رفعا ذلك إلى الله عز وجل- وهو أعلم- فيقول: لعبدي عليّ إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته، أن أبدله لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، وأن أكفر عنه سيئاته**"(2) .

---

(1) رواه أبو داود .

(2) أخرجه الإمام مالك في الموطأ .

سرير الموت: ربما ظن البعض أنه سرير المرض، أو السرير الذي يغسّل الميت عليه، أو سريره في القبر، وكل ذلك يعبر عن معنى سرير الموت، إنه سرير لا بد لكل امرىء أن ينام عليه، فينتقل بالتدريج من سريره الوثير بغرفة نومه إلى سريره الخشبي ذي الثقوب، وذلك حين غسله وهو ميت، ثم إلى سرير آخر حين يوضع في لحده أو قبره حيث التراب والظلام والوحدة وقسوة السرير وصلابته، ثم يستقبله بالضمة.. كما قال النبي ﷺ: "**إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيًا منها لنجا سعد بن معاذ**"[1] .. ثم يمتحن الامتحان الصعب فإذا ما نجح رأى مقعده من الجنة و"**يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون**" ويقال له : "**نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**"[2] . وإن لم ينجح في امتحانه يقال للأرض: "**التئمي عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**" [3].. فإذا ما بعث وقام من سرير قبره فله سرير أقسى وأفظع وأشق: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:41] .. أي فرش من النار ويلتحفون بألحفة من النار والعياذ بالله، أما أهل الجنة فيكفيك لتعرف حالهم قول الله تعالى في الحديث القدسي: "**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**" [4] .

السرير المتحرك: قال ﷺ: "**إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيتكىء هذا ويتكىء هذا فيقول أحدهم لصاحبه أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه نعم يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا**"[5] .

---

(1) رواه أحمد .

(2) صحيح الترمذي .

(3) رواه الترمذي .

(4) رواه البخاري .

(5) رواه البزار .

فاختر لنفسك أي مضجع تحب وترغب.. وأي سرير تشتري وتدفع.. وتذكّر كل ذلك حين تذهب لتنام على سريرك اللين المريح، وإذا ما أخذت مضجعك عليه فسمّ الله وقل كما قال نبينا ﷺ: **"اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتّها فاغفر لها اللهم إني أسألك العافية"** [1].



(1) رواه مسلم .

17

سُفرة "مائدة الطعام"



كانت فيها قبل محلها الأرض أو قريبًا منها، لكنها كانت ملتقى الأحبة من الأهل والإخوان، ومجتمع الأسرة من أب وأم، وجدّ وجدة، وأبناء وبنات، لِربّ البيت حولها معهم لقاءات وقصص وحكايات، يوم أن كان الجميع يجتمعون كل يوم في ساعة واحدة لتناول الطعام خاصة طعام الغداء، ويسيغونه بطيب الحديث وحلو الكلام، وكذلك في الاجتماع العائلي الكبير يوم الجمعة من كل أسبوع يتحلقون حولها في جوّ أشبه بجوّ العيد!

وكانت خير سفرة ولا زالت سفرة رسول الله ﷺ التي كانت توضع على الأرض!

أما الآن فإننا نمتلك سفرة راقية دخلت هي الأخرى عالم الأزياء والموديلات -أزياء الأثاث والبيوت- تصنع من أفخر الخامات، وتدخل عالم الزخرفة التي تجعل منها قطعة أثاث غاية في الجمال، وصار لها غرفة خاصة بها، مما يدفع أهل العروسين للسعي كدحًا ليحصلوا على تلك التحفة الغالية وإحضارها لهما حتى يسايروا جميعًا العصر الذي يعيشون فيه كما يقولون، ولو لم يملكوا ثمنها! ولو كان البيت ضيقًا! ولو لم يأكلوا عليها! المهم أن يوجد بالبيت سفرة بمفهومنا العصري مع ما يلزمها من مقاعد ومفارش وديكور.. وهذا وإن كان مباحـًا إلا أنه يكره إذا جرّ إلى الاستدانة والتقليد وتحميل النفس فوق ما تملك، أو كان حبًا للدنيا وغاية لا وسيلة في الحياة. وهنا نتساءل: لماذا لا يبدأ العروسان صعود درجات السلّم

من أوله درجة درجة إن صعب عليهم ارتقاؤه مرة واحدة، فإن ذلك أدعى للثبات والإحساس بالنعمة عند الحصول عليها بعرق الجبين؟!

تأتي السفرة وتحلّ بالدار معززة مكرمة لكنها هي الأخري لا يعجبها تغير الأحوال وتقلب الأيام وتشتاق لتلك الأزمان الخوالي حين كان الوقت مقسمًا بين الحقوق والواجبات، وبين الأهل والصحاب، قبل أن تغزو بيوتنا موضة الأكل في المطاعم، و تحل علينا فكرة الوجبات السريعة التي إن لم تذهب إليها أنت جاءت هي إليك.. ونظرًا لاختلاف ساعات العمل عن ذي قبل وطولها، وعدم اجتماع شمل الأسرة في وقت واحد، فهذا في المدرسة وذاك في الجامعة وقد أكل في الخارج وهؤلاء في الدروس الخاصة، والأم قد تأتي من عملها مرهقة هي الأخرى، نجد أنفسنا أمام هذه الصورة حيث يدق باب البيت دقات خفيفة.. يُفتَح الباب ليظهر من خلفه من يمدّ يده إليك بشيء أنت بالتأكيد تعرفه، فقد امتدت يداك إلى جيب سترتك في الحال لتخرج المطلوب الذي يأخذه الواقف بالباب ثم ينصرف، وبالطبع فليست كل البيوت هكذا، وإنما هناك صور أخرى، فحين تشتكي بعض مطابخنا قطيعة أربابها يعاني بعضها الآخر من التخمة! وبينما تفيض بعض موائدنا وتملّ لكثرة من حولها طول الوقت، يشكو بقيتها قلة الرواد وانقطاعهم عنها، ونحن في كلا الحالين نحتاج إلى الاعتدال والوسطية. وهذه صور تتكرر للأسف في كثير من البيوتات خاصة تلك التي أنعم الله عليها بنعمة المال والقدرة على شراء ما تريد وصنع ما تحب وترغب، وتتكرر الصورة مرات كثيرة ومتتابعة وإن اختلفت في شكلها، وسواء سعيت إليها أم سعت إليك فالنتيجة واحدة.. وجبات جاهزة وسريعة مِن أو في المطعم.. توصيل للبيوت.. إسراف في الإنفاق.. إهمال للمطبخ.. هجر للسفرة.. عدم إجادة بعض الزوجات والبنات طرق الطبخ.. الحرمان في أوقات كثيرة من الاجتماع الأُسَري على سفرة الطعام وربما أكل بعض الأولاد في غرفهم أمام شاشات التلفاز! وبالتالي قد نفقد

أعز ما نملك في محيط الأسرة ونفتخر به على سائر المجتمعات، ألا وهو الجو الدافيء العام، والترابط والألفة والوئام، والحب المتبادل بين أفرادها والاحترام، إلى جانب الإحساس بوجود روح الجماعة في كل عائلة فليس الغرض من التفاف الأسرة حول المائدة هو الأكل ذاته فالطعام ليس هدفًا وغاية إنما هو وسيلة للعيش بصحة وسلام وفق هدي الله ورسوله ﷺ ، وإننا حين نجلس معًا على سفرة واحدة نحقق السنة النبوية وتحل البركة، وقد كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده وكان يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام. وقد جاء جماعة يشكون إليه أنهم يأكلون ولا يشبعون، فقال لهم: **"فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه"**[1] .

وفي جلوس الوالدين مع الأطفال تعليم لهم وتدريب على آداب الطعام والشراب ودرس عملي تربوي بالقدوة التي يقدمها كل منهما لأبنائه، وانظر إلى المعلم الأول ﷺ فقد كان عمر بن أبي سلمة- رضي الله عنه - غلامًا صغيرًا تربى عنده، وذات يوم جلس يأكل مع النبي ﷺ ، فكان لا يأكل من أمامه، ولا يتأدب بآداب الطعام، فقال له: **"يا غلام سمّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُل مما يليك"**[2] .

لذا فإن كل من يجلس على السفرة عليه أن يتعلم فقه المائدة ويتأدب بآداب الأكل: من النية، وغسل اليدين، والتسمية، والتفكر في نعم الله علينا، وأكل ما أحلّه لنا، والاعتدال وعدم الإسراف، وألا يعيب طعامًا، وأن يجلس بتواضع غير متكيء، ولا يستخدم أواني الذهب والفضة في طعامه أو شرابه، ويأكل من جانب الطعام مما يليه، ويحمد الله تعالى عقب الأكل، ثم بعد ذلك كله فليتفكر في أحوالنا مع تلك السفرة التي تذكرنا بالسفر، فحين نضع عليها زادنا نتزود منه إلى ما شاء الله لسفرنا في الدنيا، وكما أن غذاء البدن بالطعام لازم لبقائه وحياته فغذاء الروح

(1) رواه أبو داود .

(2) متفق عليه .

بالإيمان والذكر مطلوب لسفر الآخرة، وهو دائم البقاء وينفع في الدارين، فلنتزود منه ونستزد. قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾

[البقرة:197].

والجلوس على المائدة بنية التقوّي على العبادة بالأكل وطاعتك لله تعالى يؤهلك برحمته وحده سبحانه للجلوس على مائدة الخلد ضيفًا مكرمًا على الله الكريم، فقد جاء في الحديث الشريف قول النبي ﷺ: **"إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول إن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود** عليه السلام **فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد، قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد"** ؟

قال: **"زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب" فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق إلا النظر في وجه ربنا فيتجلى لهم فيخرون سجدًا فيقال لهم لستم في دار عمل أنتم في دار جزاء"** [1] .



(1) رواه أبو نعيم في حليته .

18

سِــوَاك

دعانا نبي الله عليه الصلاة والسلام إلى استخدامه وحثنا على الاعتناء بسلامة أسناننا وصحتها وجمالها، والحرص على تطييب رائحة أفواهنا وذلك بالمداومة على استعماله.



والسواك من سنن الفطرة كما جاء في الحديث النبوي الشريف: **"عشر من الفطرة، قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك...."** [1] . وهو كذلك سنة مؤكدة في الوضوء وعند كل صلاة لقول النبي ﷺ: **"لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة "**[2] .

استبدل معظم الناس اليوم السواك بفرشاة الأسنان الصناعية المعروفة التي لم تستخدم إلا من مائتي عام فقط، بينما كان للمسلمين فضل السبق في معرفة أهمية الصحة العامة للأسنان وضرورة الحفاظ على نظافتها منذ علّمهم رسول الله ﷺ استخدام السواك منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، تعبدًا لله تعالى واتباعًا لنبيه ﷺ.

اِرتقى السواك سلّم المجد والرفعة، وتقلدَ وسام الكرامة والعزة منذ استخدمه خير البرية ﷺ ، وحين أوصاه به الروح الأمين فصار مرضاة لله عز وجل. كما جاء في الحديث الشريف: **"تسوّكوا فإن السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب، ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض عليّ وعلى أمتي"**[3] .

(1) رواه مسلم .
(2) رواه البخاري .
(3) رواه ابن ماجه .

وإذا كان الإسلام يحثنا على نظافة الأسنان بالسواك وتطييب رائحة الفم بالاستياك فإنه يؤكد علينا ضرورة تطييب الكلام الذي يخرج من ذلك الفم وتطهيره حين يخترق تلك الحواجز العظمية التي تشكل قيدًا وسجنًا للسان إذا ما تزلجت الكلمات على سطحه فانكشف بها مكنون النفس ومستقر القلب. يقول يحيى بن معاذ: (**القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو وحامض وعذب وأجاج، وغير ذلك ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه**).

مَن طيّبَ فمه ونظف أسنانه بالسواك فلينظر إلى الطعام الذي تستقبله تلك الأسنان بشوق يجعلها تمزقه حُبًّا وتطحنه أكلاً، هل هو من حلال طيب أم من حرام خبيث، فإن من حقها عليك أن لا تستخدمها في معصية الله عز وجل وألا تلوثها بأكل الحرام.

ومَن زيّن فمه بنظافة أسنانه وحافظ على بريقها ومظهرها الجميل فليحرص على إظهارها للناس ببسمة طيبة تكون له عند الله صدقة، وفي قلوبهم حبًّا وودًّا، ولا يؤذيهم بإهمال نظافتها أو بتناول ما يغير من نصاعتها كشرب الدخان والشيشة -والذي فيه ضرر كبير على الصحة- فتنبعث مع حديثه وتنفسه وهواء شهيقه الروائح الكريهة التي تؤذي من يقترب منه ولا سيما زوجته شريكته في بيته ومضجعه التي هي أوْلى الناس بحسن ريحه وجمال مظهره ودوام بسمته، وقد نهى النبي ﷺ من أراد أن يجلس مع الناس أو يذهب إلى المسجد أن يأكل ما له رائحة كريهة تؤذي إخوانه عند الاختلاط بهم ولو كان طعامًا مباحًا فقال: **"من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته"**[1] .

يستحب السواك في جميع الأوقات ويتأكد استحبابه عند تغير رائحة الفم، وإن كان المرء صائمًا فله كذلك استخدام السواك مع أن الرسول ﷺ يقسِم ويقول:

(1) متفق عليه .

"والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك"[1] . فتغير رائحة فم الصائم كانت بطاعة الصيام ولم تكن لتناول دخان أو غيره، ومع ذلك فقد كان رسول الله ﷺ **"يتسوك وهو صائم"**[2] . وكان- عليه السلام- **" إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك"**[3] ، كما يستحب أيضًا عند الذكر وقراءة القرآن ومناجاة الرحمن.

والسواك فيه إعجاز يدل على صدق النبوة وصاحبها – عليه السلام- الذي لا ينطق عن الهوى. فالمادة الموجودة في شجر الأراك المستخرج منه السواك-كما ثبت علمياً- هي أفضل مادة تعمل على تطهير الفم وتنظيف الأسنان وتبييضها ومنع تسوسها والحفاظ على سلامة اللثة، ولا يوجد مادة أخرى تعادلها، وإن كانت فرشاة اليوم والمعجون الخاص بالأسنان قد حلا محلّ السواك إلا أن ذلك لا يعني أنهما أكثر فاعلية وأفضل نتيجة منه،وهذه دعوة تضاف إلى ما سبقها من دعوات للعودة إلى العمل بالسنة والاستفادة من خيرات الله الطبيعية بالرجوع إلى الطبيعة.

وقد ذكر الإمام **ابن القيم** عن مزايا السواك أنه يطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مخارج الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات.

هذا بعض ما ظهر من عجائب السواك، وماخفى كان أعظم .



(1) رواه مسلم .

(2) رواه الترمذي .

(3) متفق عليه .

19

شمعدان (حامل الشموع)

من اسمه تعرفه، ومن شكله تحفظه، ومن الدموع التي تسيل مِن فِيه تميزه، فهو الحامل للشموع التي تنير الطريق للآخرين، وهو رمز للنور بعد الظلام، وعلامة على التضحية والإيثار، وكم في حياتنا من شموع تضيء للناس وهي تحترق! وكم في الدنيا من أناس أنكروا ذواتهم في سبيل تحقيق الخير لغيرهم، راضية بذلك نفوسهم، قريرة به



عيونهم، ينتظرون الأجر والثواب من الله تعالى وحده، ولسان الحال يقول: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:9] .

إن الدموع التي تسيل من عَيْن الشموع لتذكرنا بتلك الدموع الغالية التي سالت من خشية الله، حين وجدتْ حرارة الإيمان تلامس قلوبها فاحترقت شوقًا لمولاها وبكت خشية منه ورجاء ورغبة لما عنده، لذلك فقد جعل الله لهذه الأعين الباكية التي احترقت بتلك الدموع الحارة أمانًا من ناره ووقاية من عذابه فلا يجمع عليها خوفين، وقد قال رسول الله ﷺ: **"لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع"**[1] .

والشمعدان يذكرنا كذلك بما أحدثه بعض الناس من إدخال شموعه في مناسبات مختلفة كالاحتفال بالمولود، أو في حفلات الزواج، وفي أيام الميلاد التي ألبسوها لباس العيد، فتجد المرء منهم يقول لك غدًا عيد ميلادي أو عيد ميلاد

(1) رواه الترمذي .

ابني، وكذلك ما يُسمّى بعيد الزواج، وما ذلك بِعيد، فلا يوم الميلاد عيد ولا يوم الزواج، وإن كان ذلك مناسبة طيبة تستحق منا الشكر لله المنعم دون أن نسميها عيدًا، و لم يجعل الله تعالى لنا سوى عيدي الفطر والأضحى، ويوم الجمعة.

بَيْد أن الشمعدان لو تكلم إلينا لقال لنا بدموعه الكثير من الكلمات، ولـذكّرنا بالمواقف الحميدة لبعض الأحباب الـذين نـدين لهـم بـالود والمحبـة والتقـدير والاحترام ، بل لهم علينا البرّ والوفاء. وأنت حين تنظر إليه ودموعه تـسيل عـلى خدّيه ترى من خلال دموعه دموع الكثير من الآباء والأمهات الذين قضوا شطر أعمارهم وطيلة أوقاتهم في سبيل إسعاد بنيهم وبنـاتهم، فـسهروا عـلى راحـتهم، وجاعوا ليطعموهم، وتعبوا ليسدوا فاقتهم، وليغنوهم عن ذل الحاجة إلى الناس، ولا عجب إن رأيتهم يتفنّنون في كيفية إدخال البسمة على شفاههم وهم يتفـانون في ذلك وهم سعداء تمامًا كتلك الشموع التي ينقضي عمرهـا ويـذهب وهـي لا تفتأ تضيء لمن حولها الطريق وهي تحترق!، لذا فقد وصى الله تعالى الأبناء من بنين وبنات ببر الوالدَين والاعتراف بفضلهما والـدعاء لهـما وعـدم التـأفف مـنهما أو الضجر عند كبرهما ردًّا لبعض الجميل ومجازاة للإحسان بمثله، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[الإسراء: 23- 24]

نعم أيها الأبناء.. فالأم والأب هما عطر هذه الحياة وبدونهما تكون الحياة سرابًا.. وأمّك هي النغمة المحببة التي لا تملّها النفوس، ويترنّم بها الصغير والكبير مرددًا إياها كلما غدا أو راح، ولا يهدأ له بال حتى تتكحل عيناه بطلعتها البهية التي لها حلاوة في نفسه لا تقلّ عن حلاوة الطعام والشراب، فلا يغمض له جفن إلا على هدهدتها، ولا يستقر له وجدان إلا في أحضانها.. هي حُبّ لا يعادله حب بعد حب الله ورسوله، حب يقود المرء إلى نعيم سرمدي لا ينتهي لأن رضاها من رضا الإله..

بدونها تتحول الحياة إلى ما يشبه السراب.. ولمَ لا وعطاؤها عطاء من نوع خاص لا يشاركها فيه أحد من الناس، عطاء حباها الله به وحدها دون غيرها.. وهي ينبوع المحبة فلا يعرف الُكرْهُ طريقًا إلى قلبها تجاه فلذات أكبادها.. تراها واحة خضراء وسط صحراء الحياة، وسرًّا من أسرار وجودنا على هذه الأرض، وقد كرمها الله تعالى في كتابه الخالد المنزل من فوق سبع سماوات، ووصى بها رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، لذا فإن من أكرمها من أولادها نال الخيرات وارتفع وارتقى أعلى الدرجات، ورزقه الله في حياته تكريمًا وبرًا من الأولاد والبنات، ومن أهانها أهانه الله ومقته وغضب عليه إذ ارتكب بعقوقها المحظورات..

إنها نسمة في الظهيرة.. دفء ساعة قشعريرة.. حب فوق العشيرة..

حبها يبدّد برد الشتاء.. قربـُها بلسم ودواء.. صحبتها ذكر وصفاء..

في صباح نراها أو مساء.. هي دوْما لنا ريّ وماء..

نجمة هي في المساء.. قمر هي في السماء.. شمس هي وهواء.

نعم.. إنها الأم الحانية.. فرفقًا بها أيها الأبناء.. ورفقًا بها أيتها البنات.. اعرفوا لها قدرها.. لا ترفعوا الصوت عليها ولا تنهروها ولا تستهينوا بفضلها وفضل برها فهو عند الله عظيم.. قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:23]. وقال رسول الله ﷺ: **"إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات"**[1] .

أما أبي وأبوك أيها الإنسان.. فأبوّتها في مقام عال رفيع.. والأبوّة.. تلك النفحة الربانية، والعطيّة الإلهية، والنعمة المرضية.. إنها عطاء بلا حدود، وتضحية دون مقابل إلا من رب الوجود.. هي النهر المتدفق بالحب والوداد، والجود والإيثار.. والأب الكريم هو بطل هذه المعاني وهذه الكلمات.. ولمَ لا وهو يكدّ ويتعب لنرتاح ونسعد، ويسهر لننام! ويعطي لنأخذ! فما أعظمه وما أرحمه وأكرمه.

نعم.. فأنت يا أبتاه لولاك -بعد الله- ما جئنا لهذه الحياة.. وأنت يا أبتاه مصباح ينير لنا طريق النجاح، وأنت يا أبتاه شموع وسـط ظـلام الحيـاة تنير لنا طريق

(1) رواه البخاري .

النجاة.. شموع تضيء ولو بالدموع والاحتراق!

حق لك علينا أمام الله البرّ والطاعة، والدعاء بضراعة.. لأنك باب من أبواب الجنة عظيم، فتحه الله للأبناء البررة.

قال رسول الله ﷺ: **"الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فحافظ على الباب أو ضيّع"** [1].

وما أنصفك ابنٌ جعلك ندًا له فعاملك بجفاء، أو رفع صوته عليك، أو استعلى واستكبر، أو بخل وأدبر، وإذا ما بلغتَ من الكبر عتيًّا لم يكن لك ولدًا مرضيًا، ونسي فضلك عليه أو تناساه، وظن أن ذكاءه قد وصل منتهاه، وهو في الحقيقة عاقّ جحود سينال عاقبة جحوده في دنياه قبل أخراه.. كما قال رسول الله ﷺ: **"اثنان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق"**[2].

وما أنصفوك يا أبتاه حين أخرجوك، وفي دور المسنين وضعوك أو ألقوك، ومن عطفهم المزيّف حاولوا أن يلبسوك!

وما أنصفوك حين جهلوا حقّ الوالديّة، وأنها درجة عالية غير عاديّة.

فيا أيها الأبناء.. كونوا لآبائكم صالحين بررة.. كونوا لهم العيون إذا ما ضعفت العيون.. وأيديهم إذا ما كلّت الأيدي.. وأرجلهم إذا ما عجزت الأرجل، كونوا آذانهم التي بها يسمعون، كونوا لهم محبين طائعين.. والجزاء من جنس العمل.. قال رسول الله ﷺ: **"بروا آباءكم تبركم أبناؤكم"**[3].

واعلموا أن أحبّ الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة وقبل الجهاد في سبيل الله برّ الوالدين، فقوموا بالبرّ مختارين محتسبين.. فقد روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: **"الصلاة على وقتها"** قلت: ثم أي؟ قال: **"بر الوالدين"**. قلت: ثم أي؟ قال: **"الجهاد في سبيل الله"** [4].

---

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه الحاكم .

(3) رواه الطبراني والحاكم .

(4) متفق عليه .

20

صالون "غرفة الضيوف"

إنـها تشكو إلى الله أرحامًا تقطعت، وأواصر تمزقت، وخلوّها من الزوار، فبعد أن كانت تغصّ بالحاضرين من أقارب وزائرين أصبحت تجأر بالشكوى والأنين، وبعد أن كانت مسرحًا لاجتماع شمل الأسرة كل أسبوع، ورمزًا لتواصل القلوب وتقارب الأجساد، بين المرء وذوي رحمه، وبين الصديق والصديق،



خلت إلا من القليل، رحماك يا الله، فلقد طغت على معظمنا ماديات الحياة، وأنستنا مشاغلها وهمومها بعضًا من قيم الإسلام الجميلة التي كانت راسخة من قبل في كل وجدان، وغطى عليها ركام الأيام وغبار الطريق فأخطأنا من حيث لا ندري في تحديد الأولويات، وغفلنا عن أجمل وأحلى ما في الحياة، وصار كل منا مشغولاً بنفسه منهمكًا في عمله حتى في العطل والإجازات! وانتقل إلينا داء الأمم الغربية من تفكك أسري وقطيعة أرحام لا توصل إلا في المناسبات! ففاتنا من الخير الكثير، وضاقت بتلك القطيعة الأرزاق.. وفي الحديث: **"إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"**[1] ، وفقد بعضنا أخلاقًا جميلة كالإيثار، فصرنا نركض في الدنيا بحثًا عن لقمة العيش-كما نقول- ركْض الوحوش، وغرق كثير منا في الديون ومطالب الحياة، فكل يعيش لنفسه وبيته وأولاده وليس عندنا وقت للسؤال عن المدين أو غيره من الأرحام، إلا من رحم ربك..

---

(1) رواه أحمد .

كنا منذ زمن ليس بالبعيد نجد لزيارات الأهل والأقارب لذّة، وللأعياد فرحة، وللأمراض تداعِيًا، وللمصائب مشاركة، وللأسرة اجتماعًا وألفة، ولم تكن سبل الاتصالات ميسرة، فلم نك نملك السيارات أو الهواتف كما نملكها الآن، لكنا كنا نملك قلوبًا متآخية ونفوسًا توّاقة لفعل الخير، وأُسَرًا مترابطة، وهذا أعظم وأهمّ.

لقد حرص الإسلام على التعارف بين الناس فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:13]. وحثّ على الإخاء والمحبة والتراحم فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]. وذكر أولي الأرحام في أكثر من آية في القرآن الكريم.. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:75].. وخصّ صلة الرحم عن جميع الصلات برعاية أكبر وعناية أعظم، وأعطاها من المكانة الحجم الكبير حيث رغّب الله فيها فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء:26]. وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء:1]. كما حذر من قطعها فقال:" ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد:22:23].

وإذا كانت عيادة المريض والزيارة في الله من الأعمال الصالحة التي بشر رسول الله ﷺ فاعلها بالأجر الجزيل، حين قال: **"من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً"** (1) . فإن زيارة أولى الأرحام وصلتهم أوْلى، والقيام بحقهم آكد وأوجب، لمَ لا ورسول الله ﷺ يقول:

(1) رواه الترمذي .

"الرحم معلقة بالعرش تقول: مَن وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله" [1].
فيا للفجيعة لقاطع رحمه، أتتحمل قطيعة الله لك، أتعيش في دنياك بغير معيته سبحانه وتعالى فلا يخشع قلبك ولاتدمع عينك ولا تشبع نفسك، فتركبك الهموم وتطاردك وساوس الخوف من المستقبل، والجزاء من جنس العمل! ومن هنا كان الوعد للواصل لها والوعيد لقاطعها.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: **"أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته"** [2].

ويقول رسول الله ﷺ: **"الرحم شجنة من الرحمن"**[3]، أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، والأرحام: هم ذوو قرابتك الذين تجمعك وإياهم رحم واحدة. ويأمرنا الرسول ﷺ بالتعرف على أنسابنا لنستطيع أن نصلهم، ففي الحديث: **"تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر"** [4].وتصلهم بأن تعين فقيرهم وترشد جاهلهم، وتقضي حوائجهم ، وتتفقد غائبهم، وتعود مريضهم، وتشاركهم أفراحهم وأحزانهم. وقد ذكر القرطبي الرحم فقال: الرحم التي توصل عامة وخاصة، فالعامة: رحم الدين، وتجب مواصلتها بالتواد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، وأما الرحم الخاصة: فتزيد-أي على ماسبق- النفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم.

إن أيّ مجتمع مكون من أَسَر، وما الأسرة المترابطة إلا نواة وبذرة لمجتمع مترابط، لذا فقد حرص الإسلام على التواصل بين أفراد الأسر، والترابط بين أَسَر المجتمع، ولو نظر كل فرد منا إلي ذي حاجة من أرحامه فقضى حاجته، ولو تكفل

(1) رواه البخاري .
(2) رواه أبو داود .
(3) رواه أحمد .
(4) رواه الترمذي .

كل غني بفقير من أسرته، أو يتيم فيها، أوأيّم فزوجه، لحققنا اكتفاء ذاتيًا في كل أسرة، وكان ذلك صلة وصدقة، ففي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: **"الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة، وصلة"** [1] .. ولوسّع الله أرزاقنا فإنه: **"ما نقص مال عبد من صدقة"** [2] .

نحن بحاجة إلى الارتقاء بنفوسنا وأخذها إلى الحق أخذًا جميلاً، والعودة بها إلى منابع ديننا الصافية فننهل منها ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وحين ينشأ أولادنا في أسرة متواصلة وبين أفراد متحابين فإن هذا درس بليغ للأجيال من بعدنا يسيرون عليه ويدعون إليه من أجل أسرة أتقى وأمّة أقوى، وبرغم ما ذكرناه من وجود قطيعة للأرحام من البعض إلا أن الخير في الأمة كثير والخير هو الأصل، فهناك الكثير من المحسنين لا يقابلون القطيعة بمثلها متمثلين قول رسول الله ﷺ: **"ليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها"**[3] .



(1) رواه الترمذي .
(2) رواه الترمذي .
(3) رواه البخاري .

21

صندوق الصّدقة



إنه كنزك الذي تكنزه ورصيدك في بنك الحسنات.. وهو طريقك السهل إلى البرّ والإحسان، فبه تطعم جائعًا، و تكسو عاريًا، ومنه تساعد فقيرًا، وتمنح مسكينًا، وتصل رحمك المحتاج، فتعطيه مما أعطاك الله.. وما عليك إلا أن تضعه في مكان ظاهر لجميع أفراد الأسرة وتمد يدك إليه يوميًا بقليل من المال، قد يكون درهمًا وقد يكون دينارًا.. جنيهًا أو دولارًا، تارة في العلانية وأخرى دون أن تعلم شمالك ما تنفق يمينك، من غير قليل منّ أو يسيرٍ من الأذى، وإنما باسم الله وعلى بركة الله.. إنه سبيل طيب لتعليم الأهل والأبناء فضيلة الصدقة، وطريق مأمون لتدريبهم على خلق الإنفاق والجود والكرم، فتتعود أيديهم على البذل والعطاء، وأنفسهم على الإحسان والسخاء، وقلوبهم على المحبة والإخاء، فيكون من سماتهم الحنوّ والرأفة، ومن شيَمهم العطف و الرحمة.. ولو أن كل أسرة جعلت في بيتها صندوقًا صغيرًا متواضعًا **(حصّالة)** أعدته لذلك الغرض، وأنفقته بعد امتلائه على قريب معوز، أو جار محتاج، أو فقير متعفف، إذًا لاستغنى الناس، ولحفظنا لهم ماء وجوههم وأغنيناهم عن ذل السؤال.. قال رسول الله ﷺ: **"الصدقة على المسكين صدقة، وعلى القريب صدقتان، صدقة وصلة"**[1] .

إلا أن ذلك لا يعني أن تنحصر صدقتي وصدقتك في هذا الصندوق فتكون ضيقة مثله بل لا بد أن تزيد، كما يزيد هذا المال المتجمع في الصندوق ويفيض، فمجالات الخير كثيرة وما أكثر المساكين والفقراء الذين يحتاجون مدّ يد العون لهم ليعيشوا كما يعيش الناس.. يأكلون ويلبسون ويتعلمون، ليصيروا أفرادًا أسوياء

(1) رواه الترمذي .

وأسَرًا نافعة معطاءة لمجتمعاتهم.. وكل ذلك أثر من آثار برّك وإحسانك لهم بعد فضل الله على الجميع.

إن وجود هذا الصندوق أمام ناظريك وتحت بصرك وعينيك يجعل منك إنسانًا ومسلمًا متميزًا بالإنفاق في كل وقت، ليلاً ونهارًا، سرًا وجهارًا، وما أجمل الصدقة حين تخرجها راضية بها نفسك قريرة بها عينك لأن فيها رضا مولاك القائل سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:274] .. وهو عز وجل يخلف عليك حين تنفق كما في الحديث القدسي: **"أنفق يا ابن آدم أنفق عليك"** [1] .

أرأيت معي كيف أنه صندوق خير وحياة قلب.. مفتاح نجاة وقرب.. وطريق رضا وحب.. قال رسول الله ﷺ :**"إن الصدقة تطفيء غضب الرب، وتدفع ميتة السوء"** [2]. وأنت أيها المتصدق الكريم البطل الجسور الذي يخوض غمار الحرب مع نفسه يهذبها ويؤدبها، فيخرج شحّها، ويطرح بخلها بعيدًا عنها، حين يجود مما عنده وبأحسن مما يمتلك، فيرتقي بذلك مقامًا رفيعًا في الدنيا والآخرة.. وحين تدنو الشمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة ويلجم العرق الناس إلجامًا يستظل هو في ظل صدقته تلك التي أخفاها أو أعلنها على السواء فقد كانت نيته خالصة فيها لوجه الله.. ففي الحديث الشريف: **"كل امريء في ظل صدقته، حتى يقضى بين الناس"**[3].

إنه مقام القرب وكفى به مقامًا! قال النبي ﷺ: **"السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار"**[4] .

(1) متفق عليه .
(2) رواه الترمذي .
(3) صحيح الجامع الصغير .
(4) رواه الترمذي .

فإذا أيقن المسلم ذلك آثر الباقية على الفانية وكان ما أنفقه أحبّ إليه مما أبقاه! فأدرك ووعى قوله ﷺ: **"يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث، ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأبقى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس"** (1) .

ومن ثمرات هذا الصندوق أنه يساعدك على القرب من رسول الله ﷺ وذلك حين تكفل منه يتيمًا فقدَ الأب العائل وفقد معه الحب والعطف والرعاية، لكنك حين تكفله بجزء بسيط من مالك تشارك في صنع بعض السعادة لقلبه الكسير، بل في صنعه هو نفسه، فتفوز بالكرامة وتنال البشارة.. قال رسول الله ﷺ: **"كافل اليتيم – له أو لغيره- أنا وهو كهاتين في الجنة"** (2) وأشار الراوي -وهو مالك بن أنس- بالسبابة والوسطى.. وما أجمل أن يكبر وينمو ذلك اليتيم الذي غذيَ من مالك الذي استخلفك الله فيه، وتعلّم تحت سمعك وبصرك بما أنفقت عليه، فيصبّ الله من حسناته في ميزان حسناتك دون أن ينقص من أجره شيء، ولِمَ لا وأنت سبب من أسباب عمله ذاك، ولك أجر الدلالة أيضًا.

ينبغي لمن يقتني ذلك الصندوق أن يملأه من حلال لتعم بركته ويتقبله الله تعالى، ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"من كسب مالاً حرامًا، فتصدق به، لم يكن له فيه أجر، وكان إصره عليه"**(3). أما إن كنت لا تملك ما تتصدق به فلن تلام على ذلك وأنفق ما تستطيع مع عقد العزم والنية على الإنفاق عند المقدرة واتق الله ما استطعت ولا تحقر من المعروف شيئًا ولو كان يسيرًا، وكما جاء في الحديث: **"من استطاع منكم أن يتقي النار فليتصدق ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة"**(4) .. وابحث عن مجالات أخرى للصدقة وهي كثيرة بفضل الله تعالى، وسوف تجدها في توجيهات رسول الله ﷺ ومنها قوله: **"على كل مسلم صدقة"** .

---

(1) رواه مسلم .
(2) رواه مسلم .
(3) رواه ابن حبان .
(4) رواه مسلم .

قالوا: يا نبي الله فمن لم يجد؟

قال: "**يعمل بيده فينفع نفسه، ويتصدق**".

قالوا: فإن لم يجد؟

قال: "**يعين ذا الحاجة الملهوف**".

قالوا: فإن لم يجد؟

قال: "**فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة**"(1) .

وقوله: "**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر لك صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة**" (2) .



(1) رواه البخاري .

(2) رواه الترمذي .

22

علبة المكياج



رُوِيَ أن "**عيسى بن موسى**" قال لزوجته يومًا: "**أنت طالق إن لم تكوني أحسن من القمر**".. وأخذته الحيرة بعد أن ندم على قولته تلك فقد كان يحبها حبًا شديدًا، لذا فقد طلب الفتيا فأفتاه فقيه من أصحاب أبي حنيفة بأنها كذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:1– 4] .. فهي بذلك أحسن من القمر!

نعم.. فما من شك في أن الله تعالى هو الذي تفضل علينا بحسن الخلقة فله الحمد والشكر، لذا كان رسولنا ﷺ يقول في سجوده: "**سجد وجهي للذي خلقه وصوّره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين**"[1] .

ومع ذلك نجد البعض من النساء يفعلن الأفاعيل لجذب الأنظار إليهن بما يقمن من تغيير للون البشرة وترقيق للحواجب، وصبغ للشفاه وتحمير للخدود مستخدمات في هذا العمل مساحيق التجميل التي تعجّ بها علبة الماكياج والتي انتشرت انتشارًا واسعًا باتتْ به جزءًا من التجارة العالمية، ومؤثرًا هامًا من المؤثرات في اقتصاد البلدان بل في ميزانية أي أسرة! وقد تُغير المرأة لون عينيها بالعدسات اللاصقة وتطيل رموشها بالرموش الصناعية وتضيف إلى شعرها خصلات ذهبية مع النهي الوارد عن وصل الشعر، كل ذلك لتظهر أمام الناس بصورة جميلة فاتنة، فليتها إذ فعلت ذلك فعلته لزوجها في بيتها فمتعت ناظريه

(1) رواه مسلم .

بذلك الجمال وتلك الزينة، إذًا لكانت مأجورة غير مأزورة، ولحمد لها زوجها حسن اهتمامها وشدة حرصها أن تكون تلك الزوجة الصالحة التي **"إن نظر إليها سرته"**.. وليتها إذ تجمّلتْ بهذه الزينة المغرية أخفتها عن الأجانب من الرجال ولم تبدِها لهم امتثالاً لأمر الله ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ [النور:31] . كل هذا ستر للمرأة وإعلان لخصوصية الزوج في ذلك، وسدّ للفتنة ومنع للفساد .. أما غير هؤلاء المحارم، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ﴾.. وزينة المرأة كما يقول شيخنا العلامة الدكتور **يوسف القرضاوي**: (**أنها كل ما يزينها ويجملها، سواء كانت زينة خَلقية كالوجه والشعر ومحاسن الجسم، أو مكتسبة كالثياب والحليّ والأصباغ ونحوها**).

وفي هذه الآية الكريمة أمر الله النساء بإخفاء زينتهن، ونهاهن عن إبدائها، ولم يستثن **"إلا ما ظهر منها"**..

ويبين الشيخ الجليل **يوسف القرضاوي "ما ظهر منها"** فيقول: (**الذي أرجحه أن يقتصر "ما ظهر منها" على الوجه والكفين وما يعتاد لهما من الزينة المعقولة بلا غلو ولا إسراف كالخاتم لليد والكحل للعين كما صرح بذلك جماعة من الصحابة والتابعين. وهذا بخلاف الأصباغ والمساحيق التي تستعملها المرأة في عصرنا للخدين والشفتين والأظافر ونحوها، فإنها من الغلوّ المستنكر، والذي لا يجوز أن يستعمل إلا داخل البيت، أما ما عليه النساء اليوم من اتخاذ هذه الزينة عند الخروج من البيت لجذب انتباه الرجال فهو حرام**)..

حين ازداد اهتمام بعض الناس بتزيين الظاهر واستغنوا به عن زينة الباطن ازداد رواج **علبة المكياج** في الأسواق، وغلا ثمنها وارتفع وازداد.. وإذا كان

المسلمون الأوائل يقضون أوقاتهم في تحصيل العلم النافع للناس والعمل الدؤوب الجادّ نجد بعضنا يقضي وقته في تحسين صورته وتغيير شكله ومظهره ولو أدى ذلك إلى ضياع الأموال وتبديد الأوقات والتباهي والتفاخر بالجمال المصطنع والتعالي على عباد الله.. ولو أدى إلى ارتكاب المحظورات وعمل المنهيات. ولقد عمت البلوى وازدادت حين أصبحت تلك المواد التجميلية شغلاً شاغلاً لكثير من النساء يقضين معها الكثير من الأوقات حتى أنها تلازم بعضهن في حقيبة اليد خارج البيت لتكون المرأة دائمًا على أهبة الاستعداد للتجمل والتزين إذا ما عرض لها عارض أزال عنها تلك الأصباغ، ولا شك أن الإسراف في استخدامها يفقد البشرة نضارتها ويؤثر على صحة الجلد وقد يصاب بالحساسية لبعض الأنواع منها، ومن هنا وجب الاعتدال في التعامل معها.

وقد أصبحت أدوات التجميل تنافس كثيرًا من السلع الأخرى في قائمة المبيعات والإعلانات بوسائل الإعلام المرئية والمقروءة، بل لقد تغير المفهوم الواسع للحجاب معنى وكيفية مع ظهورها حتى ظنه البعض متمثلاً في غطاء الرأس فقط ولتلبس المرأة ما تشتهي معه من الثياب الضيقة أو البنطلونات اللاصقة التي تصف وتفصل حجم الجسم وخاصة (**الجينز**) منها. مع ما يتبعها من الالتزام بأحدث ألوان الموضة ولو كانت صارخة، ثم ما يناسبها من تلك المساحيق والأصباغ على الوجه والشفتين (**المكياج**) طبقًا لألوان الملابس، ويزداد الأمر سوءًا إذا كان من يزين المرأة رجلاً كما يحدث في بعض صالونات النساء، وذلك حيث لا زال البعض منا لا يعرف الغرض السامي من تكليف المرأة بالحجاب.

لقد أباح الله تعالى لعباده التزين بكل ما هو مباح على أن يكون بضوابط شرعية.. دون تغيير لخلق الله عز وجل ودون إسراف في المال أو الوقت أو الزينة، فالمال الزائد أوْلى به فقير أو مسكين، والوقت عمْر ينقضي، والزينة من حق

الزوج! بل إن النبي ﷺ حث المرأة على التزين لزوجها وبيّن أنه من حسن التبعل له، ولذلك نجد العروس تصطحب معها في بيتها الجديد علبة المكياج هذه لمعرفتها أن التزين له مطلوب، خاصة وهي عروس.. وما أجمل العروس حين تتزين يوم عرسها وتظهر بزينتها وسط النساء والبنات، يتزينّ جميعًا بما أحل الله لهن من الزينة ليعم الفرح والسرور دون أن نغضب الله تعالى. على أن من الخطأ أن تتخلى العروس عن حشمتها وسترها ووقارها أمام الناس جميعًا رجالاً ونساء يوم عُرسها فتكشف أمامهم ما يجب عليها ستره، بل قد يصل بها الحال أن ترقص مع عروسها طربًا وتتمايل فرحًا ظنا منها بأن القلم قد رُفع عنها يوم الزفاف، فهي ليلة العمر كما يقولون! وتعصي ربها في يوم عرسها وفرحها! وكان الأوْلى بها إذ أنعم عليها بنعمة الزواج أن تشكره وتعلن له الطاعة في تلك الساعة، لتدوم النعمة وتتم الفرحة ويبدأ العروسان حياتهما معًا بالاتباع لله ورسوله.. وهي إن تحجبت وغطت شعرها بحجاب نجدها مع الحجاب تضع كافة مساحيق الزينة فوق وجهها وتبدو للناس في ثوب عرسها الجميل الفاتن وهو لا يقل زينة عن شعرها ومكياجها ظنًا منها بأن هذا هو الصواب.. فمتى نفهم المعنى الحقيقي للحجاب، ولماذا لا نطلب كمال أعمالنا ما استطعنا لذلك سبيلاً.

ألا إن الجمال نعمة من الله عز وجل، وهو سبحانه **"جميل يحب الجمال"** ، لذا فإن الكون من حولنا نرى فيه آيات الجمال مبثوثة هنا وهناك تنبئك عن جميل صنع الله وعظيم إتقانه، فإذا ما طالت يد الإنسان بعضها بالعبث أضرّت به ونقصت من قدر ذلك الجمال، أما إذا ما شملتها بالرعاية وأحاطتها بالعناية وحافظت على هذا الجمال بالطرق الصحية المعروفة ونأتْ بالفضلات الضارة أن تقع عليها فضلاً عن أذيتها بأنواع المواد المختلفة التي ثبت ضررها فإنها قد تمتع عينيها وناظريها بهذا الجمال الرباني العظيم الذي لا يستطيع أحد أن يدانيه.. كذلك أنت أيتها المرأة!!

23

غَسّالة

انظر إليها قليلاً بعين التأمل والتفكر وهي تلف وتدور، وتصيح وتصرخ، محدثة صخبًا ولغطًا يصم الآذان حين تقرب منها! وتأملها جيدًا في كل دورة لها وهي تحتضن ما فيها بحنان شديد ودفء تارة، وبقسوة وعصبية وسخونة تارة أخرى! إنها أشبه بالطاحونة التي تدور وتدور ثم تجد بعدها الحبوب قد تحولت إلى دقيق وقد قطعت بذلك الطريق على الرَّحَى التي كانت تثقل الأيدي وتنوء بالكاهل وتحتاج إلى جهد جهيد -ورحم الله من سبقونا فقد كانت أعمالهم شاقة ومرهقة- ومع كل دورة تامة لها نخرج ما فيها راضية بها نفوسنا، قريرة بها عيوننا، ولِمَ لا وقد وفرت علينا جهدًا ووقتًا وأعطتنا ملابس نظيفة زاهية. فهل عرفتها؟



إنها غسالة الملابس.. فهل جلست إليها يومًا ما ورأيتها وهي تضغط الملابس بعضها ببعض وتزمجر فيها لتجلو ما بها من وسخ، أو لاحظتها حين ترفق بها أيضًا وتتمهل حتى ترتوي فيذهب ريّها بما فيها من دنس؟

إنني حين أذكر الغسالة أرى فيها وفي مهمتها غسالات أخرى كثيرة يجدر بنا أن نتعرف على بعضها، فحين نرى الملابس النظيفة نتذكر تلك الأجسام التي سترتدي هذه الملابس، إنها أجساد طاهرة اغتسلت هي الأخرى في بحار التوبة أولاً، فاقتربت من الله تغتسل من الذنوب كل يوم خمس مرات كما تغتسل وتتوضأ للصلاة.. قال رسول الله ﷺ: **"إذا توضأ العبد فتمضمض خرجت خطاياه من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى**

تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة"[1].

وحين أذكر الغسالة أتذكر أناسًا يمارسون نفس عملها لكن بالمعكوس!! فتجد سعادتهم ومتعتهم في غسل عقول البشر بكل ما هو ضار ومضل وخبيث! حالهم حال إبليس الذي لم يكتف بضلاله بل أقسم على إضلال غيره مستخدمًا كل السبل، مزينًا كل قبيح، ملبسًا الباطل والزور لباس الحق والنور، مدّعيًا النصيحة وهو يبغي الفضيحة، رافعًا رأسه ظانًا أن في ذلك خلاصه، وهو عن الحق أبعد السائرين، وللإيمان أكذب المدّعين، وكأني بهؤلاء وهم يمارسون هواية (**غسل المخ**) لكل من عنده مخ! فيستخرجونه ويضعونه في غسالة الأفكار المسمومة التي تنفث فيه من سمومها فتسري خلاله لتمحو ما به من خير وتطمس ما يزينه من صور جميلة، وتلوث ما فيه من فطرة سليمة، فإن لم تستطع تسميمه فإنها تشوش عليه فيكون باهتًا ذابلاً لا انعكاس لما فيه ولا صدى، ثم يصبون عليه من ماء الضلالة، ويجففون منابع الخير فيه بمنشفة الغواية، فينتج عن ذلك إنسانًا ممسوخًا، مهزوز الشخصية، مسلوب الإرادة، منهزم الروح، سجين الفكرة، حبيس الكلمة، متبعًا مقلدًا.

إن الباطل حين يتزين للناظرين في ثوب بديع، يحاك بأيد ماكرة تعرف كيف تحيكه بالقدر المناسب، وفي الوقت المناسب، للشخص المناسب، عندها يغسل الأدمغة ويقلل من مهمتها وشأنها، ويجعل من وسائل الرقي بالعقل البشري غسالات ومراكز متطورة لغسيل المخ الآدمي! فيقلب الموازين، ويغير من طبيعة وجود الأشياء محوّلاً بذلك الفضيلة إلى رذيلة، والخير إلى شر، وبدلاً من أن تكون أدوات بناء وحضارة يجعلها معاول هدم بجسارة! كبعض وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ولا أخص مكانًا بعينه بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة

---

(1) رواه النسائي .

مفتوحة لا يلزمك لدخولها إلا أن تضغط بإصبعك على زر صغير فيفتح لك الباب على مصراعيه! إذًا فالأمر جدّ كبير وخطير إذ أصبحت جميعها تشاركنا في صياغة الشخصية لأجيالنا الحالية، وكذلك شبكات الإنترنت التي تفشّت وانتشرت وصار لها كثير من المقاهي الخاصة بها في كل مكان، وقد دسّت بها المواقع الإباحية التي لا يقرّها عُرف ولا دين ولا أخلاق، مع دعوة سافرة ومكشوفة لممارسة الجنس بأي سبيل، وفي أي مكان، ومع أي إنسان، ولمن يريد فعليه الاتصال! وما فتئت هذه وتلك تلعب بعقول شبابنا وفتياتنا مع ما يلازمها من عري أخلاقي وإباحية ونشر للرذيلة، فتتصدر صور الفتيات شبه العاريات صدور بعض الصحف والمجلات، وترصد الجوائز والمسابقات لملكات الجمال، ليكون هذا وذاك النموذج القدوة لبناتنا أمهات المستقبل، ونسوا أن الجمال الحقيقي هو جمال الروح والنفس والأخلاق. كما تطرق أسماعنا ليل نهار دعوات المطالبة بالمساواة بين الجنسين في كل شيء بلا استثناء ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:36] بأي حال، وقد كان الأجدر بالجميع استغلال هذه النعمة العظيمة لما فيه خير العباد بعد أن أصبح العالم بأسرِه أسرَة واحدة كبيرة.

هذه من أخطر الوسائل لغسل مخ الإنسان ومسخ فطرته ولا ينجو منها إلا من رحم الله وأعانه على التمسك بطريقه المستقيم. وصدق رسولنا الكريم ﷺ حين قال: **"تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنة نبيكم"**[1] .

ومن مظاهر غسيل المخ كذلك، تسمية الأشياء بغير مسمياتها، إمعانًا في التضليل والإفساد، وتلك حيلة إبليس اللعينة منذ الأزل، فقد تربص لآدم عليه السلام ليخرجه من الجنة، وسمّى له الشجرة المحرمة عليه فيها **"شجرة الخلد"**، فكان ما كان.. وكذلك خدع المشركين وسمى لهم الأوثان **"آلهة"** ، فعبدوها من دون الله،

(1) رواه الحاكم .

ولا زال مستمرًا في عمله، متماديًا في إجرامه، ماضيًا في تحديه، إذ يجد له آذانًا صاغية، ولا زال كذلك مسلسل التغيير يُرى ويذاع، ومن حلقاته تغيير هذه الأسماء وتسميتها بمسميات ما أنزل الله بها من سلطان، ومن ذلك :-

(قيام الأسرة الشرعية: قيد للحرية)..و(طاعة الزوج بالمعروف: قهر وعبودية).

(تأديب الأولاد: قسوة وعنجهية)..و(احترام الوالدين: ضعف في الشخصية).

(التشبه بين الجنسين: مساواة بشرية)..(الحجاب: تخلف ورجعية).

(العري والسفور: حرية نسائية)..(التمسك بالدين: تطرف وأصولية).

(تغيير الدين: إصلاحات تعليمية).. (الفن الهابط: رقيّ ونجومية).

(القمار: لعب وتسلية)... (الخمور: مشروبات روحية)...(الربا: فوائد مالية).

(سحق الشعوب: دواعي أمنية)...(الدفاع عن النفس: إرهاب وعصبية).

(ودفع العدوان:لا إنسانية)...(التسلح بما يضمن الأمان:دمار شامل وعدوانية) .

هذا قليل من كثير، كان الله في عون عقولنا، وكأني بالمخ يئنّ ويستغيث وهو في وعاء الجمجمة يُصَبّ عليه كل هذه الأنواع والمقادير من السموم والمزيلات لطهارة النفس الإنسانية وهو لا يملك إلا أن يفرّ لخالقه ويقول: ما أتعس البشرية حين تحيد عن رب البريّة .



24

فـانوس



لقد ارتبط ظهوره بمقدم شهر رمضان المبارك، وإن كان لا صلة له بتلك العبادة الجليلة وهذا الركن العظيم من أركان الإسلام، إلا أنه الآن صار علامة مميزة وسِمة ظاهرة تدل على قرب حلول الضيف الكريم للاستعداد لملاقاته وخاصة في محيط الأطفال والذي يعتبر بالنسبة لهم من أجمل وأهم الألعاب التي لها في ذاكرتهم طوال العام حلو الذكرى وجميل الصفات وطيب الأعمال حتى أنه سُمي بفانوس رمضان.

ولقد ظهر في القاهرة لأول مرة في العصر الفاطمي وكان ذلك في السابع من رمضان عام 350 هجرية عندما خرج المعز لدين الله الفاطمي من بلاد المغرب العربي قاصداً مصر مع أفراد أسرته، بعد أن بنى جوهر الصقلي القاهرة والقصر الكبير، وكان دخول المعز مصر ليلاً في موكب كبير، فخرج إليه الأهالي لاستقباله بالفوانيس لإضاءة الطريق الذي يسير فيه الخليفة إلى قصره وذلك ترحيباً بقدومه.

ومنذ ذلك الحين والفانوس يرتبط بشهر رمضان، ويردد معه الأطفال أناشيدهم المحببة وهم يحملونه ويطوفون به في الشوارع ويدقون أبواب البيوت بعد الإفطار طلبًا لحلوى رمضان، وقد كانت هذه عادة الأطفال احتفالاً بقدوم الشهر الكريم في جوّ تسوده البهجة والسرور، وهي الآن في طريقها للاختفاء مع بقاء الفانوس مبتهجًا مع تطوره وتعدد أشكاله واختلاف الأناشيد المسجلة عليه.

إن رؤية هذا الفانوس وجماله ليذكّرنا بالطلعة البهية والإطلالة الندية للضيف المبارك، وكأني به يهتف بنا فرحًا وعلى استحياء، لأنه ليس من شعائر هذا الشهر

الكريم وإن ألبسه الناس لباس الحفاوة والتكريم بالنسب الشريف إليه، إنه يهتف بنا أن اقدروا للضيف قدره واعرفوا له حقه من الإجلال والتقدير، فليس استقباله بي أنا الفانوس المكرّم ولا بشراء المزيد من الطعام والحلوى والمأكولات التي نُسبت هي الأخرى إلى رمضان بلا دليل أو برهان، ولا بجديد المسلسلات التي تأكل الأوقات، أو المزيد من الفوازير المنسوبة إلى رمضان زورًا وبهتانًا وما فيها من ضياع لأنفَس اللحظات وليتها كانت زلفى وقربة إلى الله، وليست الحفاوة به تتمثل في تعليق الزينات وإعلان الفرحة والسرور والابتهاج وإن كان سرورًا في محله وفرحًا في موضعه، ولمَ لا وهو يزورنا في العام مرة واحدة تحلّ معه فيها الرحمة وتحطّ رحالها عند المضيفين، وهو يأتي ضيفًا كريمًا سخيًا جوادًا معه الكثير من الهدايا والهبات من ربه ورب العباد، ليس للمطيعين فقط وإنما لغيرهم من الراغبين في استضافته بعد أن جَفَوه مرات ومرات، لكن الرحمات تبلغ حنايا النفوس وتخترق ثنايا القلوب، فتشفّ بعد غَبَش، وتعود بعد تِيه، وتجد نفسها من بعد ضياع، وتلك وربّي من أعظم البركات.

يأتي الشهر المبارك يتيه فخرًا ويسمو شرفًا بنزول كلام الله تعالى فيه، فلا يتساوى الناس في استقباله كما لا يتساوون في الحصول على بركاته والاستفادة من خيراته التي خصه الله تعالى بها، فمنهم من يكون في لهفة وشوق شديدين لمجيئه، وهؤلاء هم أهل الكرم الذين يحبون الضيافة وكرم الضيافة، فتجدهم يستعدون له بالإخلاص والتوبة وإصلاح النفس والعزم على فعل الخير، والحرص على اغتنام الأنفاس والساعات، وإن لهم مع رمضان وقفات ووقفات، فمن صيام بالنهار وصدقة خفية، وإعانة محتاج ومساعدة ضعيف، إلى قيام بالليل، وتلاوة وذكر، ودعاء وتضرع وبكاء، ومحاسبة واستغفار، يحرصون على انتقاء أطايب الأعمال وطلب الإخلاص فيها كحرص غيرهم على أطايب الطعام.. ومن الناس صنف آخر قد يثقل عليه استقباله ويعتبره ضيفًا ثقيلاً عليه يسبب له متاعب هي

في ظنه وكما توسوس له نفسه جوع وحرمان! يسوّل له شيطانه ويزين له سوء عمله فلا يأبه برمضان ولا يعطيه ما يستحقه من اهتمام وإكرام فيمرّ عليه كغيره من الشهور إن لم يكن أقلّ، فهو بالنهار لا ينتهي عن لغو الكلام أو الغيبة والنميمة مما يجرح صيامه، وهذا وإن كان يحرم في أي وقت فهو في رمضان أشد حرمة، وقد يؤدي معظم وقته في النوم فيضيع عليه الخير الكثير والإحساس بلذة العبادة، وربما صار شديد الغضب عصبي المزاج وحجته أنه صائم، وتجده يعوض وقت الإفطار ما صام عنه بالنهار من طعام وشهوات بالتهام أضعاف ما فاته منها، فيفقد الحكمة من الصيام ويصدق فيه قول رسول الله ﷺ: **"كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش"**[1] . وهل جُعل الصيام إلا لتربية النفس وإلجامها بلجام التقوى لتصوم عن ما يفسدها من وساوس الشيطان ونزغاته الخبيثة وأمانيه الكاذبة، ولتتعود الخير وتتحلى بمكارم الأخلاق، فتنأى عن كل ما يجعلها تنجذب وتثّاقل إلى الأرض لتسمو الروح وتستعلي عن سائر المعاصي وسيىء الأخلاق، فتصوم العين بغضّها عن العورات، وعدم نظرها وتطلعها لما في أيدى الناس من خيرات، ويصوم اللسان بحفظه عن ذكر مساويء الناس وغيبتهم والبعد عن الكذب والفحش والخصومة والجدل والمراء، ويصوم السمع بكفه عن الإصغاء إلى كل مكروه ومحرّم لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه، وبالجملة فإن على بقية الجوارح أن تلبي النداء وتمتثل للأوامر فتصوم هي الأخرى عن المكاره والآثام والشبهات والحرام.



(1) رواه النسائي .

25

كمبيوتر (حاسوب)



من جلس إليه ظن أنه ساحر.. وما هو بساحر! ومن تعرّف عليه أَلِفه وأنشأ معه صداقة حميمة، وصحبة طويلة، ومن تحدث معه رأى فيه عالمًا كبيرًا، ومعلمًا فصيحًا، وموسوعة كبيرة من العلم والمعلومات، فسبحان من علّم الإنسان ما لم يكن يعلم وهداه لما ينفعه.. سبحانه.. ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:5].

والكمبيوتر كغيره من الأجهزة الحديثة التي يبغي منها الإنسان سعادته وينشد فيها راحته، وقد دخل الآن معظم البيوت وقبع فيها شأنه في ذلك شأن إخوانه السابقين من مذياع ومسجل وتلفاز ودِش، إلا أنه فاق الجميع بمهارته وقدرته على مواكبة العصر وسرعته في إيصال المعلومة وخدمته التي لا تتوقف ليل نهار حيث صار جهازًا صغيرًا بحجم الكفّ، وألحق ببعض أنواع الهواتف النقالة، ولم يقتصر وجوده متربعًا على المنضدة الخاصة به في البيت، بل تعدى ذلك إلى أماكن وأجهزة أخرى، كما أنه ساعي بريد نشيط مدرَّب يعرف الطريق ولا يتعب كثيرًا في البحث عنه، بعد أن حدثت الثورة المعلوماتية الكبيرة التي لم تكن في أي عصر قبلنا، فدخل الإنسان بذلك التقدم الهائل في مجال لم يسبقه إليه أحد.

والآن بعد أن التحق بالكمبيوتر شبكات الاتصال **(الإنترنت)** التي طوتْ لنا الأوقات، واختزلت المسافات، وتخطّت سرعتها سرعة الطائرات، فجعلت من العالم بأسره قرية صغيرة يجوبها المرء منا في لحظات معدودات كلمح البصر! فسبحان من حبَا الجنس البشري بالعقل الذي به يفتش ويبحث عما ينفعه.

إننا إذا أبصرنا بعين العدل ونظرنا بمقياس الحقيقة إلى معظم المخترعات الحديثة والتي أحدثت الثورة التكنولوجية، وبحثنا عن موقعنا كمسلمين فيها نجد أننا مقصرون حتى في الصناعات التي سبقت هذا العصر من سيارات وطائرات وأجهزة منزلية، فنحن في مقام المستورد الأول والمروّج النشيط للسلعة والمستهلك لها، دون أن يكون لنا قصب السبق في نشأتها، وكما يقال من الإبرة حتى الصاروخ!، ونحن أمة اِقرأ التي أمرت أن تتسلح بالعلم.. كل العلم الذي يرقى بالروح ويحفظ البدن وينفع النفس فيثمر فيها الخشية لله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:28].. وأمِرتْ بالقوة في كل ما ينفعها.. فقال النبي ﷺ: **"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"** [1].. وأمِرتْ بإعداد نفسها وتسليحها بأنواع القوى المختلفة لتكون مرهوبة الجانب فلا يطمع فيها طامع ولا يقرب منها عدو، وتستغني بذلك فلا تمد يدها لأحد أو تكون عالة عليه يلقي إليها بالفتات البالي، بل تكون هي اليد العليا لما تميزت به من قوة.. وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴾ [الأنفال:60].

كل هذا يتطلب من المسئولين جهدًا كبيرًا في تنمية المواهب والبحث عن العقول المفكرة الموهوبة منذ الصغر وتشجيعها للبحث العلمي وفتح مجالاته أمام الجميع، وزيادة الميزانية الخاصة لهذا البند الضروري المهم وجعل ذلك من الأولويات. كما أنه من الضروري الاستفادة من العقول المهاجرة من أبناء أمتنا إن لم يكن بالإمكان استرجاعهم إلى وطنهم الأمّ، وفتح أبواب البحث أمامهم والاهتمام ببراءة اختراعاتهم ولو كانت بسيطة فهذه هي البداية.

---

(1) رواه مسلم .

من وسّع الله عليه واقتنى هذا الجهاز فليعلم أنه سلاح ذو حدين، ففيه الطيب والنافع وفيه الضار الخبيث، فليحذر من أن تنْزلق قدمه في أرض الرذيلة ويشيع حب الفاحشة في نفسه، خاصة في شبكات الإنترنت والمواقع الإباحية السهلة المنال والتي تصيد فريستها بنقرة لطيفة على زرّ صغير في هذا الجهاز! واحذر هذا الإدمان التكنولوجي المتمثل في الجلوس أمام شاشته وشبكته لفترة طويلة ولو كان شيئًا مباحًا، فإن الإسراف مذموم، وما من إسراف في جانب إلا ومعه حق مضيع.. ولا يأخذك العَجَب من ذلك القول فكم من أناس زلّت بهم الأقدام، وكم من زوجات يشكين بُعد الأزواج، وأزواج يعانون من نفور الزوجات والسبب معروف، قد يكون من أثر المعاصي بسبب الدخول على المواقع المنكرة، وقد يكون نتيجة الإسراف وسرق هذا الجهاز لوقت الزوج أو الزوجة والأبناء فتضيع معه الحقوق وتسقط الواجبات.

وعلى الجانب الآخر نرى -من باب الإنصاف- الوجه الآخر والمشرق لهذا الجهاز فتجده يوفر الوقت والجهد ويوصل المعلومة للعقول بسرعة، وتستخدمه الدول في كافة الاحتياجات، فيمدها بما تري من معلومات أدخلها العقل البشري المعجزة في هذه الأجهزة فسبحان الله خالقه وهاديه.. كما أن بإمكانك أن تجد فيه ضالتك من علم نافع بشرط أن تأخذه من منابع موثوقة مشهود لها بالصلاح، وتستطيع أن يتعلم أولادك من خلاله الأساليب الحديثة للبحث العلمي، وأن يستعينوا به في دراساتهم المختلفة، وقد دخل بحمد الله إلى قاعات المدارس ودور العلم وأصبح على كل منا واجب محو أمّيته فيه بمعرفة كيفية التعامل معه والاستفادة منه.

ومع كل ما ذكرنا عن إيجابيات هذا الجهاز المتميز إلا أنه لا غنى لنا عن الكتاب في طلب العلم فهو الأساس، ولا عن التلقي من العلماء خاصة في ما لا يعرف إلا

بالتلقي كتعلم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، ولا يلغي وجوده الصلة والحلقة الموصولة بين طالب العلم ومعلمه وأستاذه .

من نظر إلى هذا الجهاز تذكر قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:1-5].. فعَلِم علْمَ اليقين أن من أراد أن يكون علمه مباركًا فليكن باسم الله وفي سبيل الله موقنًا أنه مهما بلغ علمه فعلم الله أوسع ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:76] .. وكلما ازداد علمًا زاد تواضعًا لله وذلاً فهو واهب العلم وقد يسلبه من المرء في أي لحظة وقد يحرمه من عقله الذي به يفكر في طرفة عين، أما من طغى وتكبر وظن أنه بلغ من علمه المنتهى وأن بيده ملكوت كل شيء، فجعل من نفسه لله ندًّا، واستخدم علمه في أذيّة عباد الله والتجسس على أعمالهم وعدّ أنفاسهم كان علمه وبالاً عليه في الدنيا والآخرة، وصار مأزورًا غير مأجور.



26
لُعبة الطفل



إنه يحدثها وتحدثه، ويشكو إليها من أمّه وأبيه وأصدقائه متى أغضبوه، فيجد فيها سلواه، ويعيش بداخلها وهو قرير النفس بها.. انظر إليه بعين قلبك وهو معها بكل مشاعره وأحاسيسه، يندمج فيها اندماجًا كبيرًا، وينصهر في بوتقتها فلا يرى من دنياه سواها! وهو في كل الأحوال لا يستغني عنها بحال، إذ هي شيء ضروري وخاص جدًا في حياته لا يقل أهمية عن الطعام والشراب، ولا يحق لأحد أن يحرمه منها، وإلا فقد حَرم الطفولة من أكبر خصائصها وأعظم وسائلها في تنمية العقل والإحساس والوجدان، إنه عالم عجيب حقًا ومحبب إلى النفوس، عالم الطهر والنقاء، عالم لم تلوثه الذنوب، ولم تكدّر صفوه المعاصي، عالم تتجسّد فيه البراءة في أعلى صورها.. إنه عالم الطفولة.

الطفل لا يعرف في دنياه سوى والديه، ولعبته العزيزة لديه، هذا وهو صغير، ولا يميز كثيرًا من الأشياء حيث لم يتم نضجه بعد، ولم تتفتح عيناه على كل ما حوله، وهو في تلك الحال يحاول اكتشاف الكون من حوله المتمثل في عالمه الصغير عالم اللُّعَب! فتجده يجري حوارًا طويلاً معها بلُغته التي قد لا يفهمها غيره، واللعبة صبورة عليه فهي لا تملّه ولا تنتقص من قدره، ولا تقول له أنت صغير أو لا تعرف شيئًا، بل إنها تتبدّى أمامه كاشفة عن زينتها بإغراء شديد مما ينتج عنه اقتحام الطفل لتلك اللعبة وكشف ما وراء أستارها مما خفي عليه من حالها، لذلك فإنه قد يتعدّى عليها من شدة حبه لها بالضرب المبرح حتى تنكسر عظامها وتتفتت حبيباتها! كل هذا لأنه يحاول اكتشاف العالم المجهول لديه فيها، وهنا تصرخ الأم وقد تضرب وترغي وتزبد! كيف وقد اشتريتها لك منذ أيام.. كيف

وليس عندك غيرها.. كيف وقد أحضرها لك أبوك.. لن أحضر لك لعبة سواها.. هذا جزاؤك.. إنها تريد أن تبقيها لأخيه القادم أو لأخته المولودة!!

إنها قضية تحتاج للنقاش وطرح طرق التوعية بأهمية اللَّعِب للأطفال، وحين نقول الأطفال لا نقصد عمرًا بعينه وإنما نقصد الطفولة بكل فئاتها العمرية من المهد إلى ما قبيل البلوغ، وكل مرحلة لها ما يناسبها من وسائل اللعب التي تشارك في تنمية العقل والفكر والجسم والخلق، وكثير من الآباء والأمهات لا يدركون أهمية تلك الفترة في عمر كل طفل، فرسول الله ﷺ لم ينه الأطفال عن اللعب بل أقرهم عليه، يقول أنس رضي الله عنه: أتى عليّ رسول الله-ﷺ - وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، وبعثني إلى حاجته"[1] . وتقول عائشة رضي الله عنها :كنت ألعب بالبنات **(العرائس)** عند رسول الله ﷺ وكان يأتيني صواحب لي، فكن ينقمعن (يختفين) خوفًا من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله يسر لمجيئهن إليّ. فيلعبن معي" [2] .

وجاء ذكر اللعبة في الحديث الذي رواه البخاري عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل رسول الله ﷺ صبيحة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من كان أصبح صائمًا فليتم صومه، ومن أصبح مفطرًا فليصم بقية يومه، فكنا نصومه بعد ذلك، ونصوم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف) فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياها حتى يكون الإفطار". وهكذا فلو لم يكن اللعب ضروريًا للأطفال ما ترك رسول الله ﷺ صديقات عائشة رضي الله عنها – يلعبن معها لأنها صغيرة السنّ، ولما كانت اللعَب تصنع من العهن لهم، ولما حمل ﷺ الحسن والحسين على ظهره يلاعبهما، إلا أنه لا ينبغي أن تكون كل أوقاتهم لعبًا خاصة في الأعمار التي تحتاج إلى أعمال أخرى تربوية.

وقد ذكرت كلمة اللعِب في القرآن الكريم في سياق الحديث عن الحياة الدنيا..

(1) رواه مسلم .

(2) متفق عليه .

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾ [الحديد:20] . كما ذكر الفعل منها **"يلعب"** في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ [يوسف:12] . وشتان بين اللعِب في الآية الأولى واللعِب في الآية الثانية. فاللعِب الأول يهدم الأعمار ويذهب السنين وهو فانٍ و ضارّ، إذ يمارسه الكبار وقد ينسيهم المرجع والمآل، أو يلهيهم عن ذكر الله، أمّا لعِب الطفولة فيبني الأجسام وينمي العقول، ويفسح لشخصية الطفل ويمهد لها الطريق لتكون اجتماعية بنّاءة محبة للناس ذات فكر مبتكر متطور.

لذلك ينبغي على الوالدين أن يعتنيا بذلك فيهتمّا بانتقاء اللعَب النافعة والمفيدة والمناسبة لعُمر الطفل حتى لا تضرّه، ويتركا له حرية التعامل معها فقد يفكّكها ويعيد بناءها وقد لا يستطيع، المهم أن نعطي لعقله حقه من التفكر والعمل

في حدود ما يعقل، وأن نحترم خياله معها، ونشاركه لعبه بعض الأوقات ونشرك من يحب من أصدقاء أو إخوة له في هذا اللعب أحيانًا لتتعود نفسه على روح الجماعة وتتربى على الاتزان والإيثار. ولهذا يقول **عروة بن الزبير** لأبنائه: يا بني العبوا، فإن المروءة لا تكون إلا بعد اللعب. و يقول لنا الشيخ **الغزالي**- رحمه الله-: **"نحن بحاجة إلى أن نتخذ وقتًا للعمل الصحيح ووقتًا للعب الصحيح"**.

ونحن نقول إن اللعب الصحيح لأطفالنا يتضمن تيسير وجود الألعاب التربوية لهم وبأسعار تكون في متناول جميع المستويات، والحذر من بعض الألعاب العصرية التي تعلّم العنف وتزرعه في نفوس الأطفال كألعاب الكمبيوتر والفيديو العنيفة منها، والتي أثبت العلم الحديث ضررها وتأثيرها سلبيًا عليهم، وكذلك الحرص على اقتناء ما ينمّي ذكاء الطفل ويزيد من سرعة بداهته من مختلف الألعاب.

على أنه من المؤسف حقًا أن يُحرَم الكثير من أطفالنا اللعِب منذ نعومة أظفارهم فتتكدَّس حقائبهم المدرسية بكمّ هائل من الواجبات المنزلية فضلاً عن حرمانهم

من اللعب الصحيح في معظم مدارسنا، عكس ما تفعله المدارس في الدول الغربية مع الأطفال في سِني أعمارهم الأولى في الحضانات وفي التعليم الابتدائي حيث لا تلزم أحدًا منهم إلا بالمقرر المدرسي داخل فصول الدراسة مع ما يتخلله من ألعاب تعليمية هي من صميم دراستهم، ولا شك أنه توجد مدارس من هذا النوع في بلادنا إلا أنها عادة ما تكون خاصة وبتكاليف باهظة ليس للفقير فيها مكان.

إننا بحاجة إلى العودة للفطرة الصحيحة فنعرف للطفل حقه من الرعاية والحب واللعب الذي هو في الحقيقة ليس تسلية بالنسبة لتلك الزهور والبراعم بقدر ما هو بناء وتربية، ويكفي أن هناك كثيرًا من أطفال العالم محرومون من هذا الحق الواجب لهم، فترى بعضهم يلعبون لعبة الموت كل يوم تحت نيران المحتلين يبحثون عن لعبتهم المفضلة تحت الركام والأنقاض كأطفال فلسطين والعراق وغيرهم، لعبتهم الهرب من رصاصة تخترق الأحشاء وتودِي بالأحياء، ويلعب معهم المحتل ليل نهار ليزرع في قلوبهم الخوف وينمي فيهم الكراهية ويدفعهم للعِب بالنار. والنتيجة طفولة بائسة ضائعة مسروقة، وأطفال يعيشون بلا طفولة! فهل هذه هي حقوق الطفل التي تنادي بها وتدعو إليها الأمم المتحدة؟!



27

لَوْحَـــةٌ



لقد أبدعتها يد فنان ماهر، أفرغ فيها عصارة فكره وذوقه، بدقة وإتقان، وسكب فيها ما ينمّ عن حسّ مرهف، وذوق رفيع. ولو نظرت إلى الحائط في غرفة الضيوف أو في غرفة المعيشة أو حتى في المطبخ في غرفة الطعام لرأيتها معلقة عليه وقد وقفت شامخة عالية أمامك، ولِمَ لا وقد أعطيتها من اهتمامك واخترتها بدقة ومزجْتَ بين ألوانها وألوان الحائط بل والفرش والبسط، فتعطينا شكلاً جماليًا رائعًا.. فهل عرفتها؟

إنها اللوحة التي نزين بها جدران المنزل ونحرص على ملاءمتها للمكان الذي تعلق فيه، فهل حاولت حين النظر إليها أن تتعرف من خلالها على ذلك الفنان المبدع، وهو يمزج بينها وبين لوحات أخرى حين رسمها؟

فمن لوحة الكون وما يحويه من أرض وسماء ومخلوقات استنبط إبداعاته، ومن جمال الطبيعة الخلابة أضفى على رسوماته، ومن أنماط الحياة المختلفة كانت إيقاعاته، فصبغ ألوانها بصبغة جمعت بين الفن الإسلامي الرفيع، والنفس الإنسانية المتحضرة، والخيال الواسع الرحيب. لقد خُطّت خطوطها بيده وامتزجت ألوانها بمشاعره، فصاغ من خلالها ما يختلج في صدره وخاطره قصيدة جمال منظومة، تنبئك عن حب الإنسان للجمال، فالنفس تألفه وترتاح إليه وتتمناه على الدوام، ولِمَ لا ولوحات الجمال قد بُثت وتناثرت هنا وهناك تجذبك إليها أينما كنت وحيثما سرْت، والعين إذا نظرتْ وجب على القلب المؤمن أن يتفكر، فإذا تفكر كانت له العبرة.. وكما قيل:

إذا المرء كانت له فكرة

ففي كل شيء له عبرة.

إنها تذكرنا بعبادة عظيمة تكاد تكون مفقودة في هذه الأيام التي طغت فيها المادة على روحانيات الأشياء، فلا نرى فيها غير الجانب المادي البحت، ولا نستشعر من خلالها إلا الجوانب الحسية التي يعرفها الجميع ويشعر بها ولا تميز لأحد في إدراكها، ولو أعمل كل منا فكره عند رؤية الأشياء لتغيرت عنده الرؤية ولرأى في كل ما حوله آية من آيات الله، وقديما قال بعضهم: وفي كل شيء له آية:تدل على أنه الواحد .

ولوحات الجمال البهيجة تجدها بين صفحات القرآن الكريم حيث امتزجت ألوان الإعجاز الجمالي في مخلوقاته سبحانه وتعالى، فدعانا إلى النظر إليها بعين التفكر، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ [فاطر:27:28].

امتنّ الله تعالى على عباده بآية الجمال، وجعلها نعمة منه وفضلا، ولفت أنظارنا إلى جمال الكون وما فيه من مخلوقات، فقال عن الأنعام: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:6].

كما بين لنا أن الجمال لا يقتصر على الماديات والمحسوسات من الأشياء، فهناك صفات هي أيضًا جميلة حثنا على التحلي بها والتجمل، ودعا رسوله ﷺ إليها فقال له: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:5] .. والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه، وقال: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحِجر:85] .. وهو الصفح الذي لا عتاب معه، فهو سبحانه يحب الجمال.. وقد قال النبي ﷺ: **"إن الله جميل يحب الجمال"**[1] .

---

(1) رواه مسلم .

لقد ارتقى الإسلام بالمرء، وسما بعقله، واحترم خياله وحسّه، كما شجع الإبداع وحث على النظر في صفحة الطبيعة الخلابة وجمالها الأخاذ، حيث ينمو الحس الفني الرفيع، فجسّد المسلمون ذلك في فنونهم فارتقوا بها وربطوها بعقيدة التوحيد بعيدًا عن الخرافات والوثنيات والشركيات، فأطلق للخيال تصوره ما لم يخرجه ويشطح به بعيدًا عن الحق،وجعل للمرء حرية التعبير عن ذوقه للجماليات من مختلف جوانبها، فما يراه البعض جميلاً قد يختلف فيه آخر من حيث اللون والشكل، مما يؤدي إلى إثراء الساحة الجمالية بمزيد من ألوان الجمال، فنتج عن ذلك أن برع المسلمون في فن الزخرفة حتى أنها اشتهرت بالزخرفة الإسلامية، كذلك ارتقوا بالخط العربي فصارت له أنواع وأشكال كثيرة، وأصبحت له مدارس خاصة يدرس بها. وقامت حضارة المسلمين يصحبها فن العمارة الإسلامية وفن الزخرفة والإبداع جنبًا إلى جنب.

وفي عصر الخلافة الأموية ابتكر المسلمون وأبدعوا وتنافسوا مع الحضارات الأخرى فكان من أبدع آثار الأمويين مسجد **"قبة الصخرة"** وهي آية في الجمال يلاحظ عليها المبالغة في الزخرفة والتفنن في رسم الأشكال الجمالية. وكان عهد الوليد بن عبد الملك عهد دخول العمارة الإسلامية ميدان الزخرفة مع ما كان يقوم به من أمور الدين والدولة. ولا يعني ذلك أن زخرفة المساجد لازمة، فالاعتدال مطلوب والإسراف في أي شيء لا يحبه الله تعالى.

لمّا أعمل المسلم فكره وجال بخياله في الأفق الواسع، واستخدمه لنهضة أمته، نتج عن ذلك حضارة كان لها قصب السبق في مختلف العلوم، إذ برع المسلمون في شتى المجالات، وأذكر هنا مجال الجغرافيا لارتباطه بالرسم والخيال فقد كان أشهر رسامي الخرائط العالم المسلم **"الإدريسي"** الذي رسم خريطة للأرض على كرة من الفضة الخالصة، ووضع عليها خطوط الطول والعرض، أما **"الإصطخري"**

الذي عاش في القرن الرابع الهجري فهو أول من رسم خريطة العالم الإسلامي عن طريق رحلاته ومشاهداته الشخصية، **"والمسعودي"** الذي رسم خريطة للعالم تعد من أدق الخرائط العربية.. كل ذلك يحتاج لخيال واسع وتصور صحيح وجمال في التصميم.

إن هذا الفن نستطيع من خلاله أن نرتقي بالقيم والأخلاق والعلوم، وذلك دأب المسلم الذي مهما ارتقت أعماله فإنها تصبّ في وعاء الدين الصافي، فلنتذوقه بصدق، ونسيّره وفقًا لشرع الله دون غلوّ أو تفريط، ليصبح جندًا من جنود الله على هذه البسيطة.

فإذا نظرتَ إلى اللوحة المعلقة على الجدار فتذكّر هذا الحوار، وإذا رأيت لوحة تحمل صورًا للحياة على وجه الأرض من ورود وفواكه وثمار، ومناظر طبيعية كالجبال والشمس والنجوم والأقمار، فقل آمنت بالله، وتخيلها تتحدث إليك وتحثك على التفكر في عظيم صنعه تعالى **"الذي أتقن كل شيء خلقه "**، وانظر إلى لوحة السماء البديعة وما بها من آيات، وإلى لوحة الأرض البهيجة وما فيها من عبر، وقل سبحان من خلق، سبحانه وتعالى هو الخلاق العظيم.



28

مدفـــأة

حين تتنفّس جهنم – والعياذ بالله – نَفَسها الشتوي يكون لنا من نَفَسها هذا النصيب الأوفى في تلك المدن البريطانية الباردة، حيث تتجمد قطرات المطر وهي في الطريق إلينا، وتيبس الأشجار بفروعها الجرداء، ويعم الضباب أنحاء السماء، ويُسمَع للرياح صفير يشبه العواء، وهي تهز الأشجار فتهتز معها مشاعرك، فتدعو وتقول: اللهم سلّم.. اللهم سلّم.



في مثل هذه الأجواء يهرع الجميع إلى ملابسهم الشتوية الثقيلة والساترة لاتقاء هذا البرد القارس حفاظًا على البدن من أن يتجمد، ولا تجد في الشارع في تلك الساعة عاريًا أو عارية.

أما في البيوت.. فإن المدفأة لا غنى للمرء عنها، بل إنه قد يموت بردًا إن لم يرزقه الله بمدفأة، فهي شيء أساسي لا بديل له في البلاد الغربية الباردة، وقد كانت قديمًا تستخدم بالفحم ثم تطورت من حال إلى حال حتى أصبحت الآن أكثر أمانًا ودفئًا.

حين تعيش تلك الأجواء تتذكر قول رسول الله ﷺ: **"اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنَفَسين: نفَس في الشتاء، ونفَس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحرّ، وأشد ما تجدون من الزمهرير"** [1] .

ولذلك كان عمر رضي الله عنه في الشتاء يوصي أصحابه الذين كانوا بالشام بعد فتحها فيقول لهم: **(إن الشتاء قد حضر وهو عدو، فتأهبوا له أهبته من الصوف والخفاف والجوارب، واتخذوا الصوف شعارًا ودثارًا فإن البرد عدوّ؛ سريع دخوله بعيد خروجه).**

---

(1) رواه البخاري .

إن الدفء من أجلّ نعم الله علينا لكنه إن زاد على حدّه المعتدل صار جحيمًا وحرّا لا يطاق، وكذلك البرد إن اشتد أصبح عذابًا لا يُحتمل، وقد امتنّ الله تعالى علينا في الدنيا بأن خلق بهيمة الأنعام وجعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها ما فيه الدفء لنا، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:5] ، وقال﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل:80] .. وامتنّ على أهل الجنة فجعلهم في أحسن حال ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان:13].

وبالرغم من هذا البرد في فصل الشتاء إلا أن المؤمن يرى في كل شيء نعمة من الله تعالى، فالشتاء عنده كما يقول النبي ﷺ: **"الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه"**[1] . وفيه تستدفئ القلوب المؤمنة بحرارة الإيمان ودفئه، لذا كان عبيد بن عمير إذا جاء الشتاء قال: يا أهل القرآن طال ليلكم لقراءتكم فاقرؤوا، وقصر النهار لصيامكم فصوموا.

ومع هذه المشاعر الدافئة بفعل مدفأة الإيمان الغالية، فإن البرودة في الشتاء تذكّرنا بالوجه الآخر للمشاعر الأخرى المتجمدة لبعض الناس ممن خفَتَ نور إيمانهم، وانخفضت حرارة مدفأتهم، وضعف وهجها، فبَرَدتْ الأحاسيس، وتوقفت حركة الاتصالات القلبية والبدنية بين الناس بعضهم بعضًا بصفة عامة، وبين ذوي الأرحام والأقارب بصفة خاصة، ومع ذوبان الجليد وطلوع الشمس من جديد نتمنى ذوبان جليد العلاقات الأسرية وظهور المحبة والتآخي والتراحم وعودة الدفء إلى دماء الأرحام التي أوشكت على التجمد في ظل هذه البرودة. وإن المرء منا ليسمع عجبًا في هذه الأيام فتجد أقارب وذوي أرحام يعيشون في الشارع الواحد لا يرى بعضهم بعضًا إلا في المناسبات، وغيرهم يعيش معًا في

(1) رواه البيهقي .

البلد الواحد لكن الصلة بينهم منعدمة وحلقات الاتصال تكاد تكون مفقودة، وقد يجد الولد ابن خاله أو ابن خالته، أو ابن عمه وابن عمته في مكان ما ولا يعرف أنه هو! وقد يتزوج ويُرزق بذرية، وقد يمرض وقد يموت ولا يعرف أحد منهم ذلك إلا من الجرائد أو من الصحاب! والكلّ مفرط لا شك، قاطع لرحمه، والبعض يقدم عذره بأنه وصلهم مرات ولم يصلوه فلذلك قطعهم، وهذا وَهْم كبير وخطأ فادح، وعمل من تلبيس إبليس اللعين.. استمع لرسولنا الرحيم ﷺ وهو يقول معلمًا إيانا : **"ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها"** (1) .

ومن المؤسف حقًا أن نفعل ذلك في عصر التكنولوجيا والعلم والسرعة، ونحن نمتلك من وسائل الراحة وتوفير الوقت ما لم يكن يملكه أجدادنا، فلم نستغل الوقت المتوفر في تقوية العلاقات بيننا كمجتمع واحد، ولا بين أرحامنا كأسرة واحدة، ولم نشغل أنفسنا بتربية الأولاد على مكارم الأخلاق وصلة الأرحام، واحترام حقوق الآخرين، بل أصبح الكثير يقضي أوقاته إمّا في العمل الذي قد يصل فيه الليل بالنهار بحجة طلب الرزق، أو مع بعض الرفاق قتلاً للوقت، أو أمام شاشات التلفاز والكمبيوتر تمشيًا مع العصر، فصارت اتصالاتنا ببعض هوائية وليست قلبية، وصارت أعمالنا قولية وليست بدنية، ففقدنا الشعور بكامل المسئولية في التربية، وبردت مشاعرنا إن لم تكن تجمدت، وضعفت صلتنا بأرحامنا إن لم تكن انقطعت، ولم نحرص على اعتدال كفتي الميزان رغم وجود وسائل مساعدة! لقد كان أجدادنا مع صعوبة الحياة وقلة تلك الوسائل حريصين على ترابط الأسر لأنهم علموا بفطرتهم السليمة أن صلاح المجتمعات وترابطها يكمن في صلاح الأسرة وتآزرها، فوصلوا أرحامهم فيها وكفلوا أيتامها وتزوجوا من أراملها حفاظًا على ذلك الترابط في الأسرة الواحدة. فليت شعري ماذا نقول

(1) رواه البخاري .

ونحن موقوفون أمام الله عز وجل القائل في كتابه العزيز: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ [الصافات:24- 25] . وماذا نفعل في القطيعة ونحن أمام هول الفجيعة يوم القيامة حين نحاسب على ذلك. ألم يبلغنا قول الرسول ﷺ: **"الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله"**(1) ، وقوله: **"لا يدخل الجنة قاطع رحم"** (2) .

إننا لا نريد أن نربي جيلاً تنقطع فيه أواصر المحبة، أو تتجمد فيه القيَم كما يتجمد الماء الذي هو سرّ الحياة، فتضيع الحقوق، وتختفي معها أخلاق الإسلام العظيمة من واقعنا، إننا نريد المشاعر الدافئة التي تبدد برودة الشتاء وتنشر دفئها فتدفئ مَن حولها، حيث ينعكس ضوء الشمس على كتل الجليد فيذيبها، فنرحم الصغير، ونوقر الكبير، ونجلّ ذا الشيْبة، ونعرف للوالدين والأرحام حقهم من الصلة والبرّ والإكرام .

نريد أن تصبح المشاعر حارّة بين الزوج وزوجه، وبين المرء وأسرته، وبين الفرد ومجتمعه، فيحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، وتختفي مظاهر الأثرة والأنانية ليحل محلها المحبة والإيثار، يقودنا في رحلتنا هذه كتاب الله تعالى، وترشدنا سنة المصطفى ﷺ.. نريد دفئًا معنويًا في الأحاسيس، ودفئًا محسوسًا ونحن حول المدفأة. وإذا أحسستَ بعد ذلك ببرودة في الجو أو قشعريرة في الجلد، فقل: **"لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم! اللهم أجرني من زمهرير جهنم"** (3) .

وتذكّر حين سأل معاوية رضي الله عنه الأحنف بن قيس عن الولد فقال له: (**يا أمير المؤمنين: هم عماد ظهورنا، وثمر قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا على من بعدنا، فكن لهم أرضا ذليلة، وسماء ظليلة، إن سألوك فأعطهم،**

---

(1) متفق عليه .

(2) متفق عليه .

(3) أخرجه الدارمي .

وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك فيملّوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك).

واعلم أنه: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" [1] .



(1) رواه مسلم .

29

مـــــرآة



كلنا يعرف المرآة ولا أحد منا يجهلها، إنها شيء مهم وضروري في أثاث المنزل، وكلنا ينظر إليها ويقف أمامها كل يوم فيرجل شعره ويجمّل من صورته، ويحسّن من هندامه، وليس للمرآة دخل فيما يظهر عليها من صور إذ هي تعكس ما يبدو فوق سطحها لنراه كما هو بلا زيادة أو نقصان.

بَيْد أن المرآة لو نطقت لقالت لنا كثيرًا، إذ أن معظم أصدقائها ومحبيها لهم معها وقفات وجولات لا سيما النساء فقد عقدن معها صفقة دائمة ومستمرة، وأنشأن صداقة حميمة وقوية لا غنى للمرأة فيها عن المرآة، حتى أنها تلازمها في حقيبة يدها خارج أسوار البيت، وما ذاك إلا للفطرة التي جُبلت عليها النساء من حب للزينة والظهور في أجمل منظر.. قال تعالى : ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾[الزُّخرُف:18] .

والزينة نفسها ليست مذمومة، إنما المذموم منها ما خالف الشرع وغيّر خلق الله تعالى، كما جاء عن ابن مسعود ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يلعن **"المتنمصات، والمتفلجات، والمستوشمات اللاتي يغيرن خلق الله عز وجل"** [1] .. كما أن الزينة يحرم إبداؤها إذا كانت أمام غير المحارم من الرجال، لذا فقد حذر الله تعالى النساء ونهاهن عن ذلك.

(1) رواه النسائي .

ومن الزينة المحمودة تزين المرأة لزوجها وتزين الرجل لزوجته بما يناسبه كرجل، وذلك من تمام المودة وحسن التبعل وكمال الزوجية، وقد حث الإسلام عليه، ففي الحديث يقول النبي ﷺ: **"خير نسائكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته... "**(1)، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: **"إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي"**.

وإذا كان الجمال مطلوبًا، والله سبحانه وتعالى يحبه **"إن الله جميل يحب الجمال"** (2).

وإذا كانت الزينة مرغوبًا فيها وجميعنا يحبها ويطلبها إلا أن الإسراف في أي شيء مذموم، وقد ذكر الله تعالى ذلك فقال﴿ ۞ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ** ﴾ [الأعراف:31] .. وقال رسولنا ﷺ: **"كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة "** (3) .. فما جرّ إلى الكبر والخيلاء هو مذموم كذلك ولو كان زينة مباحة في الأصل.. وقد قال النبي ﷺ: **"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر "**(4) .

مرآة القلب: وكما أن المرآة تعكس الصورة التي تظهر عليها فإن مرآة القلب هي الأخرى تعكس ما يستقر فيه ويظهر ذلك على السلوك وعلى فلتات الألسنة ولذلك جاء في الحديث الشريف: **"ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته"** (5) ..

وعكس هؤلاء المصلحين أولئك الذين يقاومون أنفسهم بشدة لئلا ينكشف مكنون صدورهم ومستقر قلوبهم فيفتضحون وهم المنافقون .

من نظر في المرآة فعليه أن يذكّر نفسه ويؤدبها بأدب دعاء النظر فيها فيقول: **"الحمد لله اللهم كما حسنت خَلقي فحسن خُلقي"** (6) . ولا يخفى على ذي لبّ الغرض من هذا الدعاء، إنه دعوة صريحة للعمل وخير العمل، إذ لا يكفي جمال

---

(1) رواه النسائي .

(2) رواه مسلم .

(3) رواه البخاري .

(4) رواه مسلم .

(5) رواه الحاكم في تاريخه وحسنه السيوطي .

(6) ابن السني .

الظاهر إذا كان الباطن كئيب المنظر ملبدًا بغيوم المعاصي والذنوب، ولا يكفي طهارة الثوب والجسد إذا كانت النفس غافلة وملوثة بأقذار الحقد والحسد، والغش والخديعة، أو مريضة بالكبر والنفاق، يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ: "**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**" [1] .

إن جمال الخلقة يظهر ويكتمل مع جمال الأخلاق، وجمال الأخلاق ثمرة طيبة للتقوى، قال الله عز وجل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:26]..

وكما قيل:

إذا المرء لم يلبس لباسًا من التقى

تقلب عريانًا وإن كان كاسيا.

وخير لباس المرء طاعة ربه

ولا خير فيمن كان لله عاصيا.

المؤمن مرآة أخيه: ومن كمال الأخلاق أن ترى في أخيك المؤمن صورة لك وأن تجعله مرآتك، فما كان منه من خلق حسن اقتديت به، وما كان من عيب فيه سترته أمام الناس، ونصحته وحده، ونأيت بنفسك عن هذا العيب، ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه: (**يا بني.. من نظر في عيوب الناس ثم رضيها لنفسه فذاك هو الأحمق بعينه.. يا بني.. من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره**). فليكن شعارك أيها المؤمن رحم الله من أهدى إليّ عيوبي.

النظر في المرآة يتطلب منا وقفة جادة مع أنفسنا.. فمن تحرَّى صورته فيها ودقق النظر لنفسه يومًا بعد يوم سيجد حتمًا أن المرآة تكلمه وتذكره، وأن وجهه يناديه وهو يتغير مع تقدم الأيام ومرور السنين، وظهور الشيب والتجاعيد، فإذا ما

(1) رواه مسلم .

دعتنا أنفسنا إلى شيء من الإعجاب حينئذٍ فلنتذكر أننا في الدنيا التي في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب وكل شيء فيها إلى زوال، ونسرع لعمل ما يحفظ علينا جمال وجوهنا وحسن طلعتها في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا كما قال ابن عباس ﷺ: إن للحسنة نورًا في الوجه. وفي الآخرة كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس:38-39].

فلنحرص جميعا على جمال وجوهنا بجمال أعمالنا وصلاحها، ولنخلط جمال الظاهر بجمال الباطن ونمزج بينهما، و ذلك كما قالوا: أن يكون المرء كثير الحياء قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا وصولاً، صبورًا شكورًا، راضيًا، حليمًا، رفيقًا، عفيفًا، شفيقًا، لا لعانًا ولا سبابًا، ولا نمامًا ولا مغتابًا، ولا عجولاً، ولا حقودًا، ولا بخيلاً، ولا حسودًا، بشاشًا هشاشًا، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله.

وإذا كنا نحاول إخفاء عيوبنا بالزينة ونحن أمام المرآة حتى لا نظهر بها أمام الناس فأولى بنا أن نزين قلوبنا بالتقوى لتظهر في أحسن حال أمام رب الناس، وعند ذلك نحس بالنعمة العظمى ونحن ننظر في تلك المرآة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4] . فنلهج من قلوبنا ونحن شاكرون لله تعالى ويقول كل منا بحق: **"الحمد لله.. اللهم كما حسنت خلقي فحسن خُلقي"** ..." **الحمد لله الذي سوّى صورة خلقي فعدله، وكرم صورة وجهي فحسّنها، وجعلني من المسلمين"** [1] .



(1) ابن السني .

30

مِرْوَحَـــةٌ



تجدها بالبيت في أي ناحية، متربعة على مكتب أو منضدة، في ركن في الغرفة وزاوية، أو معلقة في السقف عالية، وحين تشتد سخونة الجو ويأخذ منا الحرّ مأخذه تلفّ هي وتدور، فتداعب الشعور، وتدغدغ الهواء، تلاعبه تارة وتدفعه أخرى، كطفلين بريئين يتصارعان، أو كمزنة في السماء تثيرها الرياح فتحركها هنا وهناك، إنه صراع محبب تأنس به النفوس، وعندما يشعر الجسم برطوبة الهواء وتذهب السخونة المحيطة به يسكن ويرتاح.

فسبحان الله مقلب الأحوال يغيرها وهو حي قيوم لا يتغير، خلق الأكوان وجعلنا نتنقل في شهور السنة من حال لحال فالآن صيف يعقبه خريف، وغداً شتاء بعده الربيع، وفي كل ذلك لنا منه عبر وآيات من الرحمن، يخضع لها الإنسان، ويستكين أمامها الوجدان، ويعجز عن بيانها اللسان، وهذا دأب المسلم يرى في كل ما حوله قدرة مولاه، فيلجأ لذكره ويحتمي بحماه.

كانت المروحة قديمًا تستخدم باليد، فقد كانت جارية **عمر بن عبد العزيز** تروّح له يومًا بها فغلبها النوم فأخذ المروحة وأخذ يروح بها عليها رحمة منه وإشفاقًا!

ومع تطورها الآن وانتقالها من طور لآخر إلا أنها لا زالت تستخدم في الترويح عن الأبدان حين ترتفع حرارة الجو من حولنا، ورغم ميلاد بدائل أخرى أعلى تقنية منها إلا أنه لا زال هناك من الناس من يستعملها.

فحين يبلغ الحرّ شدته روّح عن جسمك أيها الإنسان واستخدم المروحة بشروط واعتدال، فلا تجلس أمامها وجهًا لوجه، ولا تسرف في استخدام الهواء حتى لا تمرض ويصيبك الإعياء، واعلم أن الله خالق الصيف والشتاء وبيده وحده تحسين الأجواء، فالجأ إليه واطلب الرحمة منه والعفو والغفران.

وإن فصول السنة تذكّر بالآخرة كل من كان له قلب يحيا بالإيمان، فشدة حرّ الصيف تذكّر بحرّ جهنم وهو من سمومها، وشدة برد الشتاء تذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:**"اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحرّ من سموم جهنم، وأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم"** [1] . فينبغي لمن يحس حرّ الشمس في الدنيا أن يتذكر حَرّها في الموقف يوم الحساب حين تدنو من رؤوس العباد ويلجم الناس العرق إلجاما، لذا كان لزامًا على من لا يصبر على حرها ولا طاقة له بقربها أن يجتنب من الأعمال ما يستوجب العقاب.. هذا عن الصيف والشتاء، أما فصل الخريف فيذكرنا بخريف العمر وتساقط الأنفاس وذهابها مع ذهاب أوراق الأشجار وتساقطها، فيكمل فيه اجتناء ثمرات الأعمال.. والربيع هو أطيب فصول السنة إذ يذكّرنا بنعمة الصحة والعافية وفترة الشباب والفتوة وتمام الأعمال وطيبها، ومشاهدة نعم الله تعالى فيه تذكّرنا بنعيم الجنة وثمارها وحسن جوّها وطيب عيشها، لذا فقد كان بعض السلف يخرج في أيام الرياحين والفواكه إلى السوق، فيقف وينظر ويعتبر ويسأل الله الجنة.

(1) رواه البخاري .

إن هذه الحياة الدنيا بما فيها من سعادة وسرور ولذة وحبور، يمتزج فيها هذا النعيم بالألم، النعيم الذي يذكر بالجنة، والألم الذي يذكر بالنار، ومن ذلك قول الرسول ﷺ عن الحمّى تصيب المسلم أنها: **"حظ المؤمن من النار"**[1] .. و نجد أبا الدرداء ﷺ يقول: (**صوموا يومًا شديدًا حره ليوم النشور**). وكان أبو بكر ﷺ يصوم في الصيف، ويفطر في الشتاء. ويوصي عمر ﷺ عند موته ابنه عبدالله بالصوم في شدة الحر في الصيف، ونجد معاذًا ﷺ يتأسف عند موته على ما يفوته من ظمأ الهواجر، كل ذلك منهم طلبًا لنعيم الجنة وظلالها، وهربًا من عذاب النار وحرّها.

ألا ما أجمل الظل الظليل بعد الحَرّ الطويل، وما أحسن النسمات العليلة بعد لفح الشمس، وهنا في عالمنا الأرضي تزداد حرارة الجو يومًا بعد يوم بمرور الأيام ولا ندري أهو من آثار العدوان على البيئة، أم بما كسبت أيدينا من ذنوب وخطيئة، أم أنه التذكرة بالنار وبقدرة الخالق الجبار.. وقد جاء في حديث مرفوع خرجه الدارمي وغيره: **"إذا كان يوم شديد الحرّ فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد حرّ هذا اليوم! اللهم أجرني من حر جهنم قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي قد استجار بي منك، وقد أجرته، وإذا كان يوم شديد البرد فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم، اللهم أجرني من زمهرير جهنم، قال الله لجهنم: إن عبدًا من عبادي قد استجار بي من زمهريرك وإني أشهدك أني قد أجرته"**.

وكما تذكّرنا المروحة بالنار، فنشحذ نفوسنا بالطاعة، ونقويها بالإرادة وصالح الأعمال، فإنها أيضًا تحثّ النفوس التي اشتدت في تلك الطاعات وأخذت نفسها بالعزيمة القوية وتذكرها خشية التفريط والإفراط ، بقول رسول الله ﷺ: **"قاربوا وسددوا"** [2] . **"القصد القصد تبلغوا"**[3] . فعندما تخشى على نفسك الملل أو

(1) رواه أحمد .

(2) رواه مسلم .

(3) رواه البخاري .

الفتور في الطاعات فعليك بالقصد واطلب لها ما تستروح به هي أيضًا من اللهو المباح.. وفي الحديث يقول النبي ﷺ: **"الهوا والعبوا -أي اللهو المباح- فإني أكره أن يكون في دينكم غلظة"** [1] .. وخذها بالرفق لتتقوّى وتعود، وتذكر قول الرسول ﷺ: **"روّحوا قلوبكم ساعة فساعة"** [2] .



(1) رواه البيهقي .

(2) رواه أبو داود .

31

مزهرية



حين جاء الربيع ولاحت تباشيره، تفتحت الورود والأزهار وبدتْ في ثوب بديع من صنع الواحد الخلاق.. جلس في حديقة منزله يتنسّم نفحات عبادة التفكر مقلبًا ناظريه بين صفحات تلك الأزهار مبتهجًا، ولسانه يلهج بالتسبيح والحمد والثناء.. سبحان الله.. ما أجمل هذه الزهور التي تملأ الجو جمالاً وبهجة وسرورا، قام إليها ليقطف بعضًا منها ليضعها في المزهرية حتى يقدمها لزوجه هدية، فما أجمل هدية الزهور! لكنه سرعان ما انتبه وهو في سكرة التأمل ليرى ظل زهرة قابعة في أحد أطراف الحديقة، وحيدة قعيدة، منعزلة نائية، في طريقها للذبول، أوشكت أو كادت تموت! دفعه فضوله لنوع آخر من التفكر.. سبحان الله! لماذا شذّتْ هذه الزهرة عن صويحباتها وأبتْ أن تنشر شذاها، ولماذا هي ذابلة شاحبة؟! هل عبث بها عابث، أم أن يد الآفات والأمراض امتدت إليها وأصابتها في مقتل فأبدلتها شحوبًا بعد ازدهار، وذبولاً بعد اخضرار؟! هل هي جائعة ظمأى، أم أن عوامل المناخ المتغير من حولها أثّرت في قوتها فأضعفتها؟ عاود التأمل مرارًا وتكرارًا وهو يتساءل لماذا هي مختلفة عن غيرها ضعيفة ذابلة؟ أهي الأرض التي نشأت بين ذراتها، ونمت بذرتها وترعرعت في أحضانها، هل فسد هواؤها وجف نبعها وضعفت تربتها فألبستها لباس الضعف والخور والخمول والمرض بدلاً من لباس القوة والحياة؟! ليكن ذلك كله أو بعضه هو السبب.. فالنتيجة واحدة.. هي ذبول زهرة في فصل الربيع، وانكسار غصن بديع!

لَهْفِي على تلك الزهرة الذابلة التي نراها كثيرًا أمام أعيننا كل يوم.. فهل رأيت يومًا المزهرية ذات الطلعة الجميلة والزهور الندية.. وهل نظرت إليها حين ترتب زهورها بتفكر ورويّة؟ إن هذه المزهرية بزهورها الجميلة لتذكرنا بربيع العمر ومرحلة الشباب المباركة التي تبدو بهيجة كتلك الزهور التي تنبض بالحب وتوحي بالإعمار والحياة ما نالت الحفظ والعناية.. أما إذا أهملت وتُركت بلا ريّ أو حماية فحينها نخسر كثيرًا، فتنتكس الفطرة وهي في أوج حاجتها إلى الاستقامة، وحينها نفقد زهورًا تذبل قبل أوانها، وتتساقط أوراقها صرعى بأيدينا، فلا نحن سعدنا بجمالها وروعتها وشذاها، ولا نحن جنينا من رحيقها عسلاً فيه شفاء للناس.

إن الشباب هم رحيق هذه الأمة وعطرها الفواح، وهم زينة هذا الوجود وزهوره المتفتحة.. ومجتمع بلا شباب صالح كحديقة بلا زهور، وإن كان للزهور مواسم للتفتح والظهور خاصة في الربيع، فإن للعمر مواسم للعمل الجاد والعطاء السخي والقوة في الإنتاج تتمثل في الشباب.. وإن كانت الزهور تذبل بعد أن تعطي عطرها وتهب بهجتها ورحيقها فإن قوة الشباب تضعف عادة عند المشيب.. ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾[الروم:54] .

قال **بن الجوزي** -رحمه الله-: (**يعني جعل بعد ضعف الطفولة قوة الشباب، ثم جعل من بعد قوة الشباب ضعف الكبر وشيبة**).

وكلمة "**شباب**" تعني في أصلها اللغوي النماء والقدرة، وتبدأ مرحلة الشباب بالبلوغ.. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور:59] .. وفي الحديث: "**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل**" (1) .

(1) رواه الترمذي .

اهتم الرسول ﷺ بالشباب وخصهم بأحاديث كثيرة، ويرجع السرّ في الاهتمام بتلك المرحلة إلى أنها أهم مراحل العمر، إذ يتمنى الصغير أن يصل إليها، والكبير أن يرجع لها، وهي بداية التكليف، وفترة القوة، وأطول مراحل العمر إذا قيست بعمر الإنسان.. ففي الحديث: **" أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك"** [1] .

والشباب هم أمل هذه الأمة وجذوتها المتقدة لما أودع الله فيهم من القوة المزدوجة المتمثلة في قوة الروح وقوة الجسد، وبقدر ما نربي أولادنا في صغرهم على المفاهيم والأسس السليمة، وبقدر ما نغرس في نفوسهم العقيدة الصافية الصحيحة بعيدًا عن الشوائب الدخيلة نجني شبابًا قويًا محصنًا.. وكما يقول الأستاذ **محمد قطب** : **(الشباب قوة خطيرة إذا تجمع على هدف معين وأخذ هذا الهدف مأخذ الجد، ومن أجل ذلك كانت عناية الأعداء منذ وقت مبكر بتمييع هذا الشباب وبمحاولة إتلافه، وإشاعة التفاهة والانحلال في كيانه، كي لا يتجمع في يوم من الأيام على هدف معين ويأخذه مأخذ الجد)**.

نعم.. فهم عماد الأمم، وإذا ما أحسنت تنشئتهم شبوا أقوياء في كل شيء.. في البدن والعمل وطلب العلم وسرعة الاستجابة، كما قال تعالى عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[الكهف:13].

لذا كان على الوالدين أن يدركا أهمية هذه المرحلة من العمر فيعدا أولادهما الإعداد الطيب الذي يبدأ من مرحلة الطفولة لأن من شبّ على شيء شاب عليه، كما قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: **(إن الأولاد أمانة عند آبائهم، وإن قلوبهم كجوهرة ساذجة قابلة لك نقش، فإن عودهم آباؤهم الخير نشئوا عليه، وإن عودوهم الشر نشئوا عليه، فينبغي أن يصونوهم ويؤدبوهم ويهذبوهم،**

---

(1) رواه الترمذي .

ويعلموهم محاسن الأخلاق، ويحفظوهم من قرناء السوء، ولا يعودوهم التنعم والرفاهية، فتضيع أعمارهم في طلبها إذا كبروا)..

والوالدان هما القدوة الطيبة للأبناء استقامة وخلقًا، وسلوكًا وعملاً، وهما أكبر الناس أثرًا في حياتهم، لذا ينبغي أن ننتبه لذلك، ويعجبني هذا القول الصائب : ليست حاجتنا نحن الكبار إلى التربية بأقل من حاجة أطفالنا بل يجب أن تسبق تربيتنا تربيتهم، ومن أسف أننا لا نتعلم من براءتهم فنصلح وقد نعلمهم من أخطائنا فيفسدون .

لذا وجب علينا إصلاح أنفسنا لنكون مثالاً وأثرًا صالحًا لهم، على أن لا ننشغل بالعمل عن واجب تربيتهم، وألا تعطلنا المشاغل والمناصب وطلب العلم عن حقوق البنوة ومتطلباتها، فكلنا مسؤول عن رعيته، وكما قيل (**أعطني مربيًا ناجحًا، أعطك شعبًا حضاريًا ناضجًا**).

ولما كان شبابنا هم حاضر الأمة ومستقبلها يربطون ماضيها بحاضرها وجب علينا رعايتهم والنظر في شؤونهم ومعرفة ما يواجهون من تحديات شديدة في ظل نظام هذا العالم الجديد في عصر العولمة الذي أصبح فيه قرية صغيرة مكشوفة، وفي وقت أصبحت المغريات والشهوات تحيط بهم من كل جانب، والفتن العواصف تعصف بهم تحاول النيل من إيمانهم الذي إن لم يكن قويًا ثابتًا ثبوت الجبال الرواسي لانخلع من أفئدتهم.

كل ذلك يؤكد دور الأسرة، المجتمع الأول والمحضن الدافىء للأبناء، ويهيب بنا أن نحتضن شبابنا بإعطائهم الوقت الكافي للاستماع إليهم ومشاركتهم بعض الهوايات والأعمال، وعمل قنوات اتصال بيننا وبينهم تزيل الحواجز والجسور في العلاقة الأسرية، غير أنه من المؤسف والمخجل حقًا أن نجد بعض الآباء -والأمهات- يسيء استخدام حقه في التربية فيعقّ ولده من حيث لا يدري! فتجده يصيح في وجهه لأتفه الأسباب، وقد يستخدم بعض الألفاظ البذيئة في التعامل

معه، مما يجعل حلقة الاحترام بينهم مفقودة، فيقيم الدنيا ويقعدها متى أخطأ، ونسي أن الرفق في النصح يجعله مقبولاً، وأن الحكمة والموعظة الحسنة تفتح القلوب، أمَا نظر هذا الأب إلى حائك الثياب وهو يترفق بالثوب يسدّ خروقه بإبرته الصغيرة بصبر وعناء، ودقة وحنكة ليعيد منه ثوبًا نافعًا بعد إصلاح عيوبه!

وقد يعمد البعض إلى معاملة الشاب كطفل صغير يتلقى الأوامر دون رأي أو إقناع، وما علم أنه بذلك يقتل فيه روح الاستقلالية والاعتماد على النفس، فأين دفء الصداقة الأبوية الحنون، وأين نحن من السبل الوقائية والعلاجية في التربية كاستخدام الحوار والمناقشة واستماع الآراء، واتباع السبل الراقية في النقاش والإقناع مع ربط ذلك بالدين والواقع.. وكذلك المشاركة الأسرية وإشعار الشاب أنه عضو فعال في الأسرة مرغوب فيه وفي أعماله الطيبة، والمعاملة بالثقة والاحترام، مع عدم السخرية من إبداء رأيه وإن خالف رأي الوالدين، وحثّه على أن يكون عنصرًا فعالاً في المجتمع يشارك في إصلاحه والمحافظة عليه بأعمال الخير في مجالاته المختلفة.. ولا ننسى أهمية المصارحة والتواصل بين أفراد الأسرة حيث تكون فيها مساحة للبوح بمكنون القلب وما يعتلج فيه دون تعنيف أو صدود، وليس من الضروري أن يفعل الأبناء كل ما فعله الآباء من قبل بل عليهم الاستفادة من تجاربهم وخبراتهم مع مواكبة العصر الذي يعيشون فيه دون تنازل عن جوهر المنهج الرباني الأصيل، ودون تصادم بين الجيلين..وهذا هو ما تنبه إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حين قال: **(أحسنوا تربية أولادكم فقد خلقوا لجيل غير جيلكم)**.. وكأنه يشير إلى ما يحدث في حياة البشر من التغير في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فيقول **(أحسنوا تربية أولادكم)** أي اضبطوهم بالقيم الثابتة كي لا يحرفهم التغير فيحيدوا عن سواء السبيل. وهكذا نفهم أن المنهج أصله ثابت سواء في جيل الآباء أو جيل الأبناء أما التجديد والابتكار والارتقاء للأفضل في الفروع والجزئيات والذي يتطلبه العصر الذي

نعيش فيه الآن فمطلوب ما لم نتعرض لأصل منهجنا الثابت القويم، ويقتضي ذلك منا تحصين شبابنا بالعلم الشرعي فهو الدرع الواقي لهم في غمار هذه الحياة، والارتفاع بمستواهم العلمي في كل مناحي الحياة ليكون منهم العالم المسلم والطبيب الحاذق، والمعلم المخلص، والمهندس البارع، والباحث والمخترع والصحفي وغيرهم مما تحتاجهم الأمة فتصطبغ علوم الدنيا بالدين ويمتزجان معًا ويصبان في معين واحد، ألا وهو تحقيق الحياة الطيبة للبشرية جمعاء، وعلماء المسلمين خير دليل على ذلك.. وإذا خلصت النوايا وكان الهمّ كله لله جاءنا منه العون والمدد.



32

مُسَـــجِّل

إنه شقيق الراديو وتوأمه الذي يأبى أن ينفصل عنه في أغلب الأحيان، وإذا نظرت إليه رأيته يفترش حجر الراديو كطفل رضيع يخشى فوات أمه له، وهو مع ذلك مستقل بنفسه يؤدي دوره المنوط به دون أدنى اعتراض، وما عليك إلا أن تلُقِم فاه الشريط الذي ترغب سماعه ثم تضغط على الزر الموكّل بترديد الكلام لتسمع ما تحب وتختار! إنه جهاز عجيب لكنه من صنع الإنسان الذي تعلم بإذن الله ما لم يكن يعلم.. وهو كالماعون ينضح ما فيه، وينطق بما سجل عليه بلا زيادة أو نقصان، والاختيار في هذا لك وحدك.



كان هذا الجهاز -وإن اختلف قديمًا- سببًا في حفظ الكثير من المواد المسجلة عليه وخاصة القرآن الكريم الذي تكرّم المسجّل بالمشاركة في وجوده بين أيدينا إلى الآن مسجّلاً كاملاً على أشرطة، ومع أن هؤلاء القراء قد مات منهم من مات إلا أن ذلك لم يمنع الناس من سماع تسجيلاتهم، إضافة إلى مساهمته الأكيدة في نشر مواد العلم الشرعي، وفروع المعرفة المختلفة، كما ساهم في نشر البديل الإسلامي من أناشيد إسلامية منوعة تغني محبي الطرب والغناء عن سماع الأغاني المختلفة المسجلة عليه أيضًا. ومع كل هذا فإننا لا ننفي مشاركة المسجل كذلك في تقديم المواد الأخرى النافع منها والضار على السواء، وكما قلنا فالاختيار للمادة من حق سامعه بالدرجة الأولى والمسئولية تقع على كاهله.

تطور جهاز المسجل وصارت منه أحجام مختلفة وأشكال متنوعة وأصبح غالب الناس يمتلكه، ورغم ظهور التلفاز والفيديو والدش والكمبيوتر إلا أن المسجل التحق بمعظم هذه الأجهزة أيضًا فتجد له نصيبًا فيها ومكانًا، ليتعدى

تسجيل الصوت إلى تسجيل الصوت والصورة معًا، وبكل الأحجام حتى أنه التحق بالهاتف المحمول الذي تحمله في جيب سترتك.

حينما ننظر إلى ذلك الجهاز الصغير لا بد لنا من وقفة تذكُّرٍ وتدبّر في حالنا، فتخيّل نفسك وأنت لا تدري حين يسير وراءك بالكاميرا الخفية مَن يَعُدّ عليك خطواتك ويحفظ أعمالك ويراقبك، وأنت عن كل ذلك غافل لاهٍ مشغول، ماذا لو عرض أمامك تلك الصور بما فيها من حلو الكلام ومرّه، ومن خير الأعمال وشرها، فهتك بذلك سترك، وكشف عورتك لمن تحب وتكره، أتكون سعيدًا بذلك؟

وهل كان حالك سيتغير إن كنت تعلم أنك مراقَب وأن خطواتك وأعمالك مسجلة عليك؟

بل ربما داعبك بعض رفقائك ودسّوا لك مسجّلاً صغيرًا أثناء حديثك معهم، فأحصوا عليك أنفاسك وسجلوا لك كلماتك من باب الدعابة والفكاهة!

أتكون راضيًا عن هذا الفعل ؟

هل أحسست يومًا وأنت تتحدث في الهاتف أن هناك من يتجسس علي مكالماتك، ويلتقط حروفها، ويحتفظ بها ويسجلها عليك، كما تطالب بهذا بعض الدول؟! إن ذلك بالتأكيد سيضايقك وينغص عليك حياتك ويؤرق نومك ويصيبك بالسهاد، ويتسبب لك في الحرج، أضف إلى ذلك حرمة هذا العمل التجسسي والتطفلي وعظيم جرمه من الإنسان لأخيه، ولا شك أنك إن أيقنت أنك مراقب فستعُدّ كلماتك عَدًّا، وسوف تحاسب نفسك قبل القيام بأي عمل، بل ستكون حريصًا غاية الحرص على أن لا تخطئ.

لذا فإن المسجّل يذكّرنا بأمر عظيم، ونِعمَ المذكّر هو، وكأني به يستصرخنا أن احذروا يا بني الإنسان، وليكن لكم مني العظة قبل فوات الأوان، فإنكم وما تعملون وتقولون مسجّلون عند الملك الديان، ألم تقرؤوا في القرآن الكريم قول الله

عز وجل ﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ [ق: 17-18] . وفي هذا يقول **الحسن البصري**: (يا ابن آدم بُسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا متَّ طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقال لك: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ [الإسراء:14] ثم يقول: (**عَدَلَ والله فيك مَن جعلك حسيب نفسك**).

إذا ما استشعرنا بصدق ويقين أن معنا من يسجّل أعمالنا ويحصي علينا كلامنا، صار نطقنا ذكرًا، وازداد يقيننا بضرورة إصلاح أعمالنا، فكانت لنا عند الله ذخرًا.. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الانفطار: 10 - 12] . ودفعنا ذلك لحب الخير والسعي لنشر الكلمة الطيبة بالحكمة والموعظة الحسنة دون أن نحقر من الخير شيئًا، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بعنبة وقالت: كم فيها من مثقال ذرة .

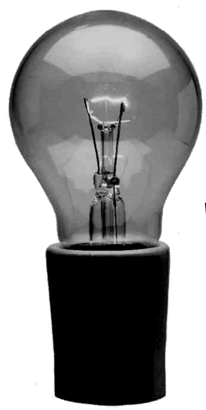
فلينتق كل منا من الأعمال أصلحها ومن الأقوال أحسنها وليأخذ العبرة مما حوله ولو كان جهاز مسجل! حتى لا يأتي علينا وقت نجد في كتاب أعمالنا العمل الجليل والحقير، والفتيل والقطمير، ويرى كل منا كتابه منشورًا لا يترك ذنبًا ولا عملاً صغيرًا أو كبيرًا إلا أحصاه وحفظه وضبطه، نسأل الله أن يلطف بنا. قال الله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف:49] .. نعم.. فالله تعالى هو الحكم العدل، وتسجيل الأعمال عدل إلهي حيث يجد المرء ما قدم دون غبن أو خسران، ولذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: "**يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**"[1] .

---

(1) رواه مسلم .

33

مِصباح



حين ننظر إلى المصباح المعلق في أعلى السقف أو المتدلي منه، وحين نرى الضوء المنبعث من المصباح بجانبنا نتذكر أشياء كثيرة.. نتذكر ضوء الشمس.. نتذكر نور الخير.. نتذكر عدل عمر.. ونرى مصباح البيت، ومصباح الجسم فنشكر ونقرّ.. يا ربي حمدًا لك .

والمصباح في اللغة: السراج.. وقد (**استصبح**) به: إذا أسرجه.

وقد ذكر (**المصباح**) في القرآن الكريم، كما ذكر في السنة المطهرة.. قال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النور:35] .

وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه".

وجاء في تفسير قوله تعالى (**المصباح في زجاجة**): ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن الذي أنار الله صدره فخلص من الكفر والشك. كماذكر ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره : شبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف.

ويبين لنا رسول الله ﷺ أنواع القلوب فيقول: "**القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب**

مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح، فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه"[1] .

والمؤمن صاحب القلب المنير بنور القرآن يتقلب في خمسة من النور كما قال **أبي بن كعب** رضي الله عنه: فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة.

السراج المنير: ورسول الله ﷺ ، جاءنا بالنور ودعانا إليه، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[الأحزاب:45]. قال **الزمخشري**: شبهه بالسراج المنير لأن الله جلى به ظلمات الشرك، واهتدى به الضالون، كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به. وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[الأحزاب45 -46]: أي وأمرك ظاهر في ما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند.

مصباح الأرض: الشمس.. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴾ [النبأ:13]، ومصابيح السماء: النجوم.. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [المُلك:5] ، وسيأتي يوم يتغير فيه مطلعها ويتبدل حالها، قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا"**.

---

(1) أخرجه أحمد .

وروي عن ابن عباس ﵄ : (**يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحًا دبورًا فتضرمها نارًا**) [1] .

مصباح البيت : الوالدان.. ونجومه الزاهرات: الأولاد.. وبيت بلا مصباح يعمه الظلام، وتنطمس فيه الصور الجميلة، كما أن بيتًا بلا نجوم يفتقد الجمال وتنقصه الزينة.. فبيت بلا أب كسفينة بلا ربان، وبيت بلا أمّ كقطار يسير على غير قضبان، وإذا فقد الأب ترملت الزوجة وتيتم الأولاد وضعفوا من بعد قوة وفقدوا بابًا عظيمًا من أبواب البر والإحسان، أما إذا ماتت الأم نادى المنادي.. ماتت التي كنا نكرمك من أجلها.

أما نجوم البيت الزواهر الغوالي -**الأولاد**- فهم فلذات أكبادنا وزينة حياتنا وثمر قلوبنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، وهم كنزنا بعد الممات. وكما للآباء حقوق وللأمهات، فكذلك للأولاد حقوق وللبنات.

مصباح الجسم: العين.. وهما الحبيبتان إلى النفس، وهما بمثابة المصباح، وبهما يستضيء الإنسان ويبصر طريقه، ولذلك فقد بشر الرسول ﷺ من فقد نور عينيه فصبر بدخول الجنات، وتحدث الله عنهما كثيرًا في القرآن وامتن بهما فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد:8] . وجمع بينهما وبين القلب فقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور:37].

فالعين تبصر الظاهر والقلب يبصر الباطن، والعين تضيء الطريق أما القلب فهو يحدده ويهدي إليه، وإذا امتلأ القلب بالهدى والنور أنار مصباح العين الطريق إلى نظرة الرحمة والمحبة والتواضع، وسدّه في وجه نظرات الاحتقار أو الحسد أو تتبع العورات.

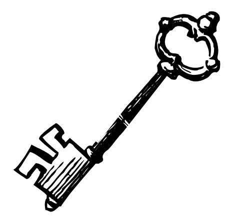
---
(1) رواه البخاري .

مصباح عمر: مصباح العدل والورع والرحمة، فقد كان لعمر بن عبد العزيز ﷺ مصباح يكتب عليه حوائجه ويستضيء به، ومصباح آخر لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين لا يكتب على ضوئه حرفًا لنفسه!



34

مفتـــاح



يوجد في المدينة التي أسكن بها مسجد عامر بذكر الله، لا يبعد كثيرًا عن بيتي، ذهبت إليه في أحد الأيام لأؤدي صلاة الجمعة، فهو وإن لم يكن بالكبير إلا أن فيه مكانًا ملحقًا به خاصًا بالنساء. قُضيتْ الصلاة، وانتشر المصلون في الأرض يبتغون من فضل الله، ورجعت قافلة إلى منزلي، وحدثت المفاجأة التي كانت بانتظاري، حيث فتشتُ عن مفتاح البيت دون جدوى، بحثت عنه مرارًا وتكرارًا فلم أجده وكأن يدًا خفية اختلسته أو أن الأرض انشقت وابتلعته! وهنا وجدت نفسي في الشارع، وشعرت بالحيرة، هل أمكث عند الجيران، أم أظل مكاني أمام البيت، أم أعود لتوّي من حيث أتيت بحثًا عن المفتاح وقد سُدت الأبواب في وجهي.. أحسست حينها بالنعمة التي غالبًا لا نشعر بها إلا إذا فقدناها، وتساءلت في نفسي.. أيمكن أن تكون هذه القطعة المعدنية التي تشكلت على هيئة مفتاح سببًا في فتح الأبواب المغلقة، وهل هي من الأهمية ببال حيث يتسبب فقدها في كسر لتلك الأبواب أو طول انتظار حتى يأتي فرج الله ويمنّ باسترداد الضالة والحصول عليها بعد ضياع؟ وهنا كان لا بد من وقفة. فإذا غاب عني ذلك المفتاح وعجزت عن إدراك مكانه أو تحديده دون بحث وتنقيب، فكيف بمن يدّعي معرفة علم الغيب ويتألّه بذلك على الناس ويخرج على البسطاء والجهال منهم بأقوال كاذبة وخزعبلات شركية مضلة وادعاءات باطلة من تنجيم وكهانة وقراءة الكف والفنجان، وكيف يصدّق البعض ذلك، وعلم البشر قاصر إذ لا يحيطون علمًا بكل ما يوجد في عالم الشهادة، فما ظنكم بعالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

مفاتيح الغيب: قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:59].

وفي هذا يقول لنا رسول الله ﷺ : "**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:34].

إن كل حدث يحدث للمرء منا في حياته يؤخذ منه عبرة وفائدة، وكل أمر من أموره خيرها وشرها يزيده ارتباطًا بمولاه، فيرى في نعم الله علينا منًّا منه وكرمًا وتفضلاً، ويرى في المحن منحًا وعطايا وهبات تذكره بالخالق العظيم الذي سخر له ما في السماوات وما في الأرض وكرم الإنسان وهداه.

تذكّر ذلك، وإذا ما أمسكَتْ يدك بمفتاح البيت فحافظ عليه، واعلم أن ثمة مفاتيح أخرى كثيرة في متناول أيدينا أنعم الله بها علينا احرص على أن تملكها، وتمسك بها، وعلى رأسها ذلك المفتاح العظيم الذي مَن فقده ضل وتاه في صحراء الحياة وكان في الآخرة من الخاسرين، وأُغلِق دونه باب الجنة، إنها مفتاح الجنة الحقيقي.. لا إله إلا الله محمد رسول الله.. فانطقها خالصة من قلبك وتذكّر أن لها شروطًا ثمانية وهي: العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشك، والإخلاص المنافي للشرك، والصدق المنافي للكذب، والمحبة المنافية للبغض، والانقياد المنافي للترك، والقبول المنافي للرفض، والكفر بما يعبد من دون الله.

مفتاح الفضائل: الحياء.. قال رسول الله ﷺ: "**الحياء لا يأتي إلا بخير**"[1]، وقال: "**استحيوا من الله حق الحياء. قالوا: إنا نستحيي يا رسول الله، قال: ليس ذلكم، ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ**

(1) رواه البخاري .

البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء" [1] .

مفتاح الخير: الدعاء.. إذا ما أوصدت دونك الأبواب، فافتحها بمفتاح الدعاء واللجوء إلى الفتاح سبحانه وتعالى الذي لا يخيب من رجاه أو طرق بابه، واحرص على تخير الأوقات التي يسهل فيها فتح تلك الأبواب، كوقت السحر، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وفي السجود، ووقت النداء، وساعة نزول المطر، وعند إفطار الصائم، وفي السفر، وغير ذلك من أوقات الإجابة، وتأكد أن سيفتح لك الباب فلا تعجل، وتأدب بآداب الدعاء ما استطعت من طهارة واستقبال قبلة مع رفع اليدين والتضرع، وعدم الاعتداء في الدعاء فلا تدعو بإثم أو قطيعة رحم، أضف إلى ذلك طيب المطعم والمشرب والملبس، ولا تنس حظ إخوانك المسلمين من الدعاء، وعند ذلك ستفتح لك أبواب السماء.

مفتاح القلوب :

أما إذا استغلقت عليك قلوب العباد فافتحها بطيب الكلام و **"الكلمة الطيبة صدقة"**[2] ، وببسمة حانية فـ **"تبسمك في وجه أخيك صدقة"**[3] ، وبإفشاء السلام **"أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"** [4] ، وبالهدية **"تهادوا تحابوا"**[5] .. **"تهادوا فإن الهدية تذهب وَحْرَ الصدر"** [6] .

مفتاح الرضا :

بر الوالدين.. قال رسول الله ﷺ: **"من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله"**[7] ، وقال: **"الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت**

---

(1) رواه الترمذي .
(2) رواه ابن حبان .
(3) رواه الترمذي .
(4) رواه مسلم .
(5) مالك .
(6) رواه الترمذي .
(7) رواه البخاري .

فأضع هذا الباب أو احفظه" [1] . فاحذر أن تغلق باب الجنة بالعقوق، فبرّك لوالديك مفتاح عظيم تفتح به أبواب الجنة وتنال به الرضا فحافظ عليه ولا تضيعه.

مفتاح الغنى :

القناعة واليأس مما في أيدي الناس وعدم الطمع هي مفاتيح الغنى، يقول الرسول ﷺ: **"ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس"** [2] ، ويقول: **"عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر"** [3] .

مفتاح الزيادة :

الشكر.. قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:7]، وجاء في الأثر: يقول الله عز وجل: **"أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي"**..

والشكر كما بينه ابن القيم رحمه الله : هو ظهور نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة، وهو مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه، وألا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة.

هذه بعض المفاتيح التي يذكرنا بها مفتاح البيت، ولا زال في سلسلة المفاتيح الكثير، ومن مفاتيح الخير اكتنز واجمع، ومن الأشياء يعرف ضدها فاحذر مفاتيح الشر واكسرها وكن لهجرها من الداعين، وقد ذكر **ابن القيم** مجموعة من المفاتيح نذكرها لتمام الفائدة، فقال -رحمه الله- : وقد جعل الله لكل مطلوب

---

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه البخاري .

(3) رواه الحاكم .

مفتاحا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور.. ومفتاح الحج الإحرام.. ومفتاح البر الصدق.. ومفتاح الجنة التوحيد.. ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء.. ومفتاح النصر والظفر الصبر.. ومفتاح المزيد الشكر.. ومفتاح الولاية المحبة والذكر.. ومفتاح الفلاح التقوى.. ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة.. ومفتاح الإجابة الدعاء.. ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا.. ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه.. ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك.. ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب.. ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده.. ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى.. ومفتاح العز طاعة الله ورسوله.. ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل.. ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة.. ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل.



35

مقرأة "حامل المصحف الشريف"



إنها تصنع من الخشب أو المعدن و تُذكِّر من يراها بالقراءة، وهي وإن كانت خشبية أو معدنية فمهمتها واحدة، ألا وهي حمل ما يوضع عليها من كتب لتقرأها بارتياح دون تعب أو ملل من حملها، لكن خير ما وضع وحمل على تلك المقرأة على الإطلاق هو كتاب الله عز وجل، لذا فإنك ما إن تراها حتى تتذكر في الحال المصحف الشريف الذي تحظى بطلتنا المقرأة بحمله بين دفتيها لتساعدك بذلك على أن تتلوه وترتله، بل وتحمله أنت الآخر في قلبك وتحفظه بين جوانحك!

يكثر استخدام المقرأة في مواسم الخير وأوقات التنافس في الطاعات التي من أجلّها وأعظمها تلاوة القرآن الكريم الذي يذكرنا بخير الشهور، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ﴾ [البقرة:185] . وقد فضل هذا الشهر المبارك بتنزل القرآن فيه، كما فُضلت خير لياليه وخُصت بأول نزول الوحي على رسول الله ﷺ فيها، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدْر:1] . وكان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة كما ذكر أهل العلم.

يأتي شهر القرآن فننعم بتلك المواسم المباركات واللحظات الطيبات التي تتجلى فيها عظمة الله تعالى ورحمته حين تتنزل الرحمات، وتغفر الذنوب، وتمحَى الخطايا، وتكفر السيئات، ولا سيما في العشر الأواخر منه.

فهل تتذكر شيئًا حين تمسك القرآن الكريم بيديك لتضعه فوق المقرأة وتمتع عينيك بالنظر لآياته وهو معك تحمله في أي مكان ذهبت وتقرؤه في أي وقت اخترت؟ إن هناك أناسًا كرّمهم الله فكانوا سببًا لوجود هذا المصحف كما تراه الآن، وما فتئ قوم يسهرون ليلهم ويصِلونه بالنهار ليصلني أنا وأنت هذا القرآن العظيم لنتعلمه ونقرأه ونسمعه غضًا كما أنزل على رسول الله ﷺ ، جزاهم الله عنا خيرًا.

لقد قبض رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور ومكتوب في الصحف ولم يجمع في مصحف واحد. قال الخطابي: (**إنما لم يجمع النبي ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر**).

لذلك أمر أبو بكر الصديق ﷺ بجمعه في مصحف واحد مرتب الآيات والسور، وكانت كتابته غاية من التثبيت مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن. ثم جمع في خلافة عثمان بن عفان ﷺ مرة أخرى وذلك لما اتسعت الفتوحات الإسلامية وتفرق القراء في الأمصار وكثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدي ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضًا، ومنعًا للفتنة وحسمًا للخلاف نسخ سيدنا عثمان الصحف التي كانت عند أبي بكر في مصحف واحد مرتبًا لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجًا بأنه نزل بلغتهم. وهكذا وصل إليّ وإليك الآن هذا المصحف الشريف بلا سابق عناء منا في الحصول عليه بهذه الصفة، وقد أختارُ منه الحجم الذي يناسبني وهذا من فضل الله علينا وتيسيره فإن الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيرًا يسر له أسباب الخير، وهاهوسبحانه وتعالى قد يسر للكثير منا الحصول على أعظم الخير وسبب الخير كله ألا وهو كتابه الكريم لننهل منه تلاوة وحفظًا، وتعلمًا وتعليمًا، وتدبرًا وفهمًا، ودستورًا ومنهجًا، وتحاكمًا وعملاً.

ورمضان فرصة للعودة للقرآن والتصالح معه وطلب صحبته والحرص عليها، وإننا لو نظرنا إلى السلف الصالح وتعاملهم مع القرآن في شهر رمضان لعرفنا كم نحن مقصرون، ولسهل علينا العمل، وعلى سبيل المثال لا الحصر: كان الزهري إذا دخل رمضان يقول : (**إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام**)! وكان مالك إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن من المصحف. وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأخير منه في كل ليلة. وكان إبراهيم النخعي يختم القرآن الكريم في رمضان في كل ثلاث ليال، وفي العشر الأواخر في كل ليلتين. وكان الأسود يقرأ القرآن الكريم كله في ليلتين. فكان هذا اجتهادهم في الشهر الكريم إذ أنهم عرفوا أهمية العمل في هذه الأوقات فلم يضيعوا منها لحظة فالكل في سباق مع الزمن يخشى فواته وخسارته لذا فقد أنسوا بصحبة القرآن الكريم وألفوها فتفاعلوا مع آياته وكان خير جليس لهم وأنيس .



36

مكـتب

كم أتمنى أن يكون في كل بيت، في غرفة من غرفه، أو زاوية من زواياه، فمجرد وجوده أمامك تشجيع لك على طلب العلم والقراءة والجد والاستذكار، وتذكرة لك بالمكتبة، لأن هناك ارتباطًا وثيقًا وصلة قوية بينهما حتى في شكل الاسم وتركيبه! فمن المكتبة تنتقي الكتاب المفضل، وعلى المكتب يمكنك أن تجلس لتقرأه أو تلخصه أو تكتب ما تريد منه أو من غيره.



وكم تمنيت أن يهتم كل عروسين عند تأثيث عشهما السعيد بإيجاد المكتب وقرينته المخلصة –المكتبة- بما تضم من كتيبات لا غنى لهما عنها في مقتبل حياتهما الزوجية والعملية.

وقد يوجد المكتب بالفعل في بيوت كثيرة لكننا نريد أن نحسن استخدامه لأن البعض قد لا يهتم بذلك، فحبذا لو عُوّد الأولاد على الجلوس عليه منذ الصغر لعمل الواجبات المدرسية والمذاكرة والقراءة مع التنبيه على ضرورة الجلوس بطريقة سليمة وصحية، ومراعاة الإضاءة الجيدة كذلك.

فوق سطح هذا المكتب يستفرغ المرء ما يحمل عقله من رحيق الأفكار، ويقطف ما في ذهنه من ثمار المعرفة وتجارب الحياة، وعلى أرضه يبذر بذور العلم ويحصد ثمرته، ولا سبيل لذلك إلا باستخدام الرفيق الملازم للمكتب، والصديق المخلص له –القلم- الذي كرمه الله تعالى من فوق سبع سماوات، حين جعله أداة لطلب العلم وتدوينه وكتابته، وأيّ فخر ناله هذا القلم إذ سُميت سورة قرآنية

كاملة باسمه، وأقسم الله عز وجل به كأداة للكتابة فقال في كتابه العزيز: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم:1] .. وذكره كذلك عند الأمر بطلب العلم فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:3:5]. لذا فإننا نجده يمتطي بدَلال ظهر صديقه المكتب مرفوع الهامة، يشير إليك كأنه إصبع يعطي الأوامر للجالسين أمامه، ينتظر من يحتضنه بدفء وحنان ويحركه بين أنامله بحبّ وامتنان، ليسطّر به ما فتح الله عليه من كلمات طيبات هي خير من الدنيا وما فيها، قد تكون رسالة ودّ وبرّ لذي رحم، أوكلمات غزل وشوق لزوجة أو ولد، أو رسالة نصح وحب لصديق، ويكتب به على صفحات الورق ما سُطّر على صفحات العقل، وينقش على سطورها ما نُقش على جدران النفس من خواطر وفكر، ومُستقَر القلم في ذلك كله أرض المكتب لكنه لا يستقر ما دام هناك من يطلب العلم به.

والكتابة متعة حقيقية لا تقل عن القراءة متعة وأهمية، فعندما تقرأ فأنت موصول بالكتاب مرتبط بما فيه، أما عندما تكتب فأنت تنطلق وتطلق لخيالك العنان –على أن لا تحيد عن الصراط المستقيم– فالكتابة إذن نتاج عصارة الفكر وخلاصة مكنون الصدر وصادق حديث النفس، وهي وسيلة التخاطب عن بُعد مع من عرفت ومن لا تعرف، ومن خلالها تصل المعلومة النافعة والتذكرة الطيبة والنصيحة الخالدة، فترتبط الأرواح دون لقاء الأجساد، كما أنها تكسر حاجز الرهبة في النفس التي قد يلجمها الخجل فلا تملك الشجاعة الأدبية على الكلام مشافهة فتبوح به على الورقة بلا سابق إنذار أو استئذان!

والكتابة صديق وفيّ لا يملّ منك، فيصطحبك أينما كنت، وهي أنيس في حياة الوحدة، وشريك في زمن الغربة، وصاحب في دروب السفر الطويل، وبها تخرج المشاعر الدافقة على هيئة حروف وكلمات متناسقة، وكما ينصح بالقراءة فإن الكتابة لا تقل شأنًا عنها إلا أن القراءة هي البداية، والكتابة لها آداب سامية يجب

معرفتها والتأدب بها وهي تحتاج إلى عزم وهمة وقبل ذلك إخلاص لله تعالى وطلب العون منه، وما من عالم من علمائنا الأجلاء في القديم والحديث إلا وله مع الكتابة رحلة ومع الكتب والمكتب صحبة، وقد كان علماؤنا الأوائل يكتبون ويؤلفون في شتى العلوم ومختلف الدراسات، ولم تكن مكاتبهم فخمة كمكاتبنا لكنها أيضًا لم تكن خاوية بل كانت عامرة بما يدوّن عليها من علوم خالدة إلى يومنا هذا ولا أدَلّ على ذلك من الثروة التي تركوها لنا ولا زالوا بها أحياء وإن كانوا في نظر البعض مع الأموات، فها هو شيخ الإسلام **ابن تيمية**-رحمه الله- الذي بدأ التأليف وهو في السابعة عشرة من عمره لما سُجن جعل من أرض السجن مكتبًا له، ومن الحبس انطلاقًا لفكره، ومن الوحدة خلوة للتأمل والفكر والكتابة، فلم ينقطع عنها رغم ذلك، بل إنه حين حرم من أوراقه ومحبرته لم يلن عزمه فكان يكتب بالفحم على أوراق مبعثرة هنا وهناك ربما لو رآها أحدنا لألقى بها بعيداً، فكانت حصيلة تلك الهمة العالية أكثر من ثلاثمائة مجلد هي امتداد لحياته وعمر آخَر له.

أما في عصرنا الحالي، فقد ضرب لنا شيخنا العلامة الدكتور "**يوسف القرضاوي**" مثلاً عاليًا في الهمة وحب العلم والكتابة، وقد وصلت مؤلفاته مائة كتاب (**منها عشرون كتابًا لوزارة التربية بقطر**) أضف إلى ذلك مقالاته الدعوية وفتاواه الشرعية، ولا زال عطاؤه مستمرًا حفظه الله، كل ذلك رغم انشغاله بأمر الدعوة. وغيره من إخوانه من العلماء في عصرنا الكثير.

والمكتب اسم يدل على مكان الكتابة، والمكاتب بذلك تكون كثيرة ومن جلس إليها وجب عليه أن يعرف لهذا الجلوس حقه الذي عنه سيسأل، فإن كان مكتب استشارة فالمستشار أمين فليؤد أمانته من النصح والتوجيه وقول الحق، فعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: "**بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم**" [1] .

---

(1) متفق عليه .

وإن كان مكتبًا لمدير مدرسة فليعلم أنه راع لكل الطلاب وأنه مؤتمن عليهم، فليحفظ أمانته وقد قال رسول الله ﷺ: **"كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"** (1) ..

وليتذكر أنه قدوة لطلابه فينظر ماذا يقدم لهم من خير فإن النبي ﷺ يقول: **"من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"**(2) .

ولا ينسى عظم ما يقوم به من عمل، ففي الحديث: **"إن الله سبحانه وملائكته حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير"** (3) .

وإن كان عاملاً في وظيفة يحتاجه الناس فيها لقضاء حوائجهم فليؤد عمله بإتقان لأنه مسئول، ولا يتطلع لما في أيديهم وليستعفف عن أموالهم ليكون كسبه حلالاً، وقد قال رسول الله ﷺ: **"من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة"**.

فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟

فقال: **"وإن قضيبًا من أراك"** (4) .

وأن يكون رفيقًا مع الناس لأن هذا خلق يحبه الله عز وجل وقد قال نبينا ﷺ: **"إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله "**(5) .

وإن كان طبيبًا فليكن رحيمًا رفيقًا بمرضاه وليقدم لهم مع الدواء المحسوس دواء آخر في بسمة ثغر أو كلمة حب أو مشاركة في الألم وتطبيب قلوبهم المنكسرة بالحب والدعاء والتعلق بالله سبحانه الشافي، فإن الجزاء من جنس العمل وقد قال النبي ﷺ : **"الراحمون يرحمهم الرحمن"** (6) .

---

(1) رواه البخاري .

(2) رواه مسلم .

(3) رواه الترمذي .

(4) رواه مسلم .

(5) متفق عليه .

(6) رواه الترمذي .

أما إذا كان الجالس إليه طالب علم فعليه أن يخلص عمله ويعلم أن طلب العلم فريضة عليه فيصبر ويتحمل مشقة الطلب ليكون نافعًا لأمته ووطنه، وكما قيل: من لم يتحمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل إلى قيام الساعة، والعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وعليه تدوين ما يتعلمه لئلا ينساه فالعلم صيد والكتابة قيد ، والبشرى له بثواب الله تعالى إن أخلص في ذلك ونشأ عليه، فقد روي أن النبي ﷺ قال: **"أيما ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صدّيقًا "**[1] .



(1) رواه الطبراني .

37

مكتبة (أ)

هي واحة غناء وسط الصحراء، ينهل منها طلبة العلم والعلماء، وهي روضة تسر الناظرين، وبستان من أجمل البساتين، فيها يرتوي العطشان، ويرتاح الإنسان، وهي الدواء للعليل والظل الظليل، فلا يستغني عنها وزير أو أمير، بها زاد العقول والأرواح في غدوّ أو رواح، لا تملّ من صديق ولاتشعر فيها بالضيق.. تجدها بالبيت وبالمدرسة وفي الشارع وفي الطريق.. فهل عرفتها؟



نعم.. إنها المكتبة.. وحين نتكلم عنها نقصد تلك التي تضم من زهور الكتب أجملها، ومن بحور العلم أصفاها، ومن الزاد أنفعه، ومن الدواء أنجعه، إذ أننا جميعًا نحتاج إليها، ومن يستغن عنها فقد سلك مسلك الجهال الذين يشغلهم زاد الأبدان عن تحصيل زاد الأرواح والأذهان .

فوق أرفف هذه المكتبة وبالتحديد أعلى رف منها نجده، فهو أهم مرجع يُرجع إليه في أي أمر، وأعظم كتاب يدرس ويدرّس، ويُتعلم ويُعلَّم، وأعدل حكم نلجأ إليه ليحكم، به يُجلَى الصدأ ويُزال الران الذي يعلو القلوب، وفيه راحة النفس وانشراحها، وسكينة الروح واطمئنانها، فهو كتاب الله العظيم والذكر الحكيم، وهو النور والهدى المبين، وأي مكتبة لا يوجد فيها فهي مبتورة ناقصة، عديمة البركة والفائدة إذ خلت من كلام الله عز وجل الذي هو المدخل لكل العلوم والداعي إليها، لذلك قال ابن مسعود ﷺ: (**إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين**). هذا القرآن الكريم الخالد الذي يتعبد بتلاوته المؤمنون

ويُنفق في تعلمه وتعليمه الأعمار والسنون، قد حفظه الله تعالى من التحريف والتبديل فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحِجر:9]. وأثنى على أهله رسوله ﷺ فقال: **"أهل القرآن أهل الله وخاصته"** [1].

وقد ذكر بعض العلماء: أن تسمية هذا الكتاب قرآنًا بين كتب الله لكونه جامعًا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل:89].

والقرآن كما نعرف هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ ليكون هداية للبشر من الضلال، ونورًا لهم في الظلمات، يخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن الشرك بالرحمن إلى التوحيد والإيمان، ومن الحكم بالأهواء إلى شريعة السماء، فهو منهج حياة ودستور حكم وقضاء، وهو كما قال عنه رسول الله ﷺ: **"إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوّم، ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد"** [2] .

لم ينزله الله على رسوله الأمين ﷺ لنزين به صدور مكتباتنا ولا لنعلق آياته زينة لجدران بيوتنا، ولا لننحت بعضًا منه على حُليّ بناتنا ونسائنا تبركًا به، فما عانى حبيبنا ﷺ ساعة نزول الوحي عليه إلا ليزيح المعاناة عن البشرية جميعها ببركة العمل بهذا القرآن العظيم، وما تحمل الأذى في سبيل إيصال رسالة القرآن إلا للعمل به والدعوة إليه إلى يوم الدين، وقد أنزله الله تعالى في ليلة عظيمة وفي شهر مبارك، ومع ذلك فإن الدنيا قد تلهي بعض الناس عن الانتفاع بهذا الكتاب العظيم فإذا بهم يصابون بداء الغفلة والهجر له، وهجره كما ذكر **ابن القيم**- رحمه الله- أنواع : هجرقراءته، وهجرسماعه والإيمان به، وهجرتدبره، وهجر العمل

(1) رواه النسائي .

(2) رواه الحاكم .

به، وهجرتحكيمه، وهجرالاستشفاء به من أمراض القلوب وأمراض الأبدان فمن لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأه ولم يفهم معناه فقد هجره، ومن قرأه وفهم معناه ولم يعمل به فقد هجره، كل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا﴾ [الفرقان:30] . وأرشدنا إلى الطريقة المثلى للانتفاع بالقرآن فقال: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه من يتكلم به منه إليه فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:37] .

رغّب رسول الله ﷺ في تلاوة القرآن ومدارسته والاجتماع على ذلك فقال: **"وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده "** (1) ، وعن أنس قال: كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقًا يقرأون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن ويذكرون الله تعالى. وكان المارّ بالليل ببيوت الصحابة رضوان الله عليهم يسمع لهم دويًا كدوي النحل من كثرة تلاوتهم للقرآن وبكائهم عند تدبر آياته، فقد دانوا لله وحده حين تلوا آياته وفهموا مراده، فعملوا بأوامره، وجعلوا منهجهم ودستورهم في الحياة من كتابه، فدانت لهم رقاب العباد وفتحت لهم البلاد وأعزهم الله ونصرهم.

لذا ينبغي لمن عنده مكتبة أن يكرمها و يزينها ببعض كتب التفسير المختصرة التي تعينه على فهم كلام الله عز وجل ليسهل عليه تلاوته وحفظه ومن ثَمّ العمل به والدعوة إليه.

---

(1) رواه مسلم .

إن تلاوة القرآن الكريم والمداومة عليها وإلزام المرء نفسه بورد يومي يحافظ عليه، فيه خير كثير وبركة في الوقت والعمر وزيادة في المثوبة والأجر، قال رسول الله ﷺ: **"من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها"** [1] .

وإن خمس آيات تحفظها وتتعلمها وتعمل بها ثم تنتقل إلى غيرها حتى تتم حفظه وفهمه والعمل به لهو دأب الصحابة وصالح المؤمنين، فعن عمر رضي الله عنه قال: **(تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمسًا خمسًا)** [2] .

ومن أراد أن يحدثه الله تعالى فليقرأ القرآن، ومن أحب أن يعرف منزلته عنده فليعرض نفسه على كلام الله، ومن ابتغى الأنيس والجليس فعليه بكتاب الله.

فهل أنت من أهل القرآن؟

وهل اشتاقت نفسك لتكون من حملة كتاب الله عز وجل؟

إن أردت ذلك فاطلبه بالإخلاص والصبر والمصابرة لينير الله به قلبك ويهذب به نفسك ويصلح لك عملك، فاحرص على أن تكون من هؤلاء لتحمل راية الإسلام إلى غيرك. قال **الفضيل بن عياض** - رحمه الله- : حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلهو مع من يلهو تعظيمًا لله تعالى.

وقال ابن مسعود : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون، ولا ينبغي أن يكون جافيًا، ولا غافلاً ولا صخابًا ولا حديدًا. فهل تريد أن تكون من هؤلاء؟ افتح مصحفك الآن ولتبدأ.

---

(1) رواه الترمذي .

(2) البيهقي .

ولتلاوة القرآن آداب يستحب التأدب بها عند تلاوته منها :إخلاص النية في قراءته، وأن تكون على وضوء وطهارة، وفي مكان نظيف طاهر، وأن تستاك قبل البدء فيها، مع استقبال القبلة والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والمحافظة على البسملة في مطلع كل سورة سوى "**براءة**"، وأن تكون القراءة بالترتيل الذي يعطي كل حرف حقه مع ملازمة الخشوع والسكينة والتدبر فيما تقرأ، وإذا مرت عليك آية رحمة فسل الله من فضله، أو آية عذاب فتعوذ من عذابه وسخطه، أو آية سجدة أو تسبيح فاسجد لله تعالى وسبح بحمده.

أخطاء تقع عند التلاوة منها :

- وضع المصحف على الأرض والأوْلى أن يكون على حامل احترامًا له.
- العبث باليد أو الجوارح لغيرحاجة، وقطع القراءة لغير ضرورة.
- التعليق من المستمعين على صوت القارئ بكلمات الثناء أو التهليل وذلك ليس الإنصات المذكور في الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:204].
- الإسراع في التلاوة بطريقة تضيع معها المعاني وتسقط فيها الحروف.

بركة القرآن الكريم: هي بشائر من أقوال رسول الله ﷺ أسوقها لهؤلاء جميعًا:

لسامعه وقارئه: "من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامة" [1] .

لمعلمه ومتعلمه: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" [2] .

للذي يقرؤه وهو عليه شاق: " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران" [3] .

---

(1) رواه أحمد .

(2) رواه البخاري .

(3) رواه مسلم .

لحافظه: "من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار"[1] .

لوالديهم: "من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجًا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا" [2] .



(1) رواه الترمذي .

(2) رواه الحاكم .

38

مكتبة (ب)

كلما قلبت ناظريك بين رفوفها رأيته جالسًا هناك بكل فخر واعتزاز، شامخًا رافعًا رأسه في كبرياء ودلال، فقد حوى من الجواهر دُرَرًا متلألئات، ومن صنوف المعرفة المختلفة امتلأت بطنه بأشهى الوجبات، فيه من البيان والحكم والبلاغة والأدب، والأشعار والطرائف مما اشتهرت به البلدان، وحوى من بحار العلوم كنوزًا ينوء بحملها الإنسان!



إنه صديقك في الصباح والمساء، والشدة والرخاء، في البيت والطريق، وقت السعة ووقت الضيق، لا يزهد فيك ما لم تزهده، ولا يبخل عليك بما تريده منه أو تطلبه، فهو خير وعاء وأوسع إناء، به زاد العقول وهو سبيل الوصول إلى العلياء، لكني كلما نظرت إليه في هذه الأيام وجدته تعلوه مسحة من حزن واكتئاب، يشكو هجر الكثير من الأحباب والصحاب، فهل رأيته؟

إنه **الكتاب**

إن مكتبتك العامرة بروائع الكتب والتي تزخر بمختلف العلوم لهي طريقك إلى العلم والنور، والعلم يبدأ عادة بالقراءة والأخذ والتلقي عن العلماء سواء كان هذا العلم من علوم الدنيا النافعة أو من علوم الدين الواجبة، وقد كانت أول آية أنزلت من فوق سبع سماوات تأمر بالقراءة. قال الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1] .وكلمة "**اقرأ**" فعل أمر، فنحن جميعًا مأمورون أن نقرأ، كل الأمة

المحمدية مأمورة بالقراءة، أفلا يجدر بأمة اقرأ أن تكون أقرأ الأمم وأعلمها بما ينفعها من علوم وابتكارات؟

إن أجدادنا تركوا لنا ميراثًا عظيمًا وثروة هائلة من كنوز العلم والمعرفة يحتاج لمن يزيل الغبار عنها ويقدمها للناس بصورة تلائم الوقت الذي نعيش فيه حيث تعود الناس على أخذ المعلومة بسرعة وبطريقة سهلة ميسورة، تمامًا كالوجبات السريعة فنحن في عصر السرعة كما يقولون!

وقد قام الكثير من علمائنا الأفاضل بجهد مشكور في اختصار وتبسيط لأمهات الكتب ليتيحوا لي ولك سبيل القراءة بلا معوقات أو صعوبات.

وحين ندعو إلى القراءة لا نقصد قراءة الكتب الدينية فحسب وإن كان ذلك أوجب لمعرفة الحلال والحرام وهو مطلوب مع ما نتعلمه ونتلقاه عن العلماء الأجلاء، لكننا نقصد تلك القراءة الشاملة في شتى العلوم والثقافات، وكذلك في مختلف التخصصات كلّ في مجال تخصصه، والهدف المنشود واحد وهو خدمة هذا الدين وأهله وإسعاد البشرية بما يقدم لها من خدمات. لذا كانت المكتبات هي النواة الأمّ للمعرفة منذ قديم الزمان ولا زالت لها أهميتها التي لا ينكرها أحد، وإن كانت الآن قد تطورت فأصبحت تضم فيها المكتبة الصوتية المسموعة والمكتبة المرئية وكلها تقطف من ثمرة القراءة المباركة.

بالقراءة يتعلم الإنسان ما لم يكن يعلم، ويسمو ويحلق في آفاق المعرفة، والقراءة نِعْمَ المذكر والمعين على قضاء الأوقات واستغلالها، وما من عالم من العلماء في أي فرع من فروع العلم، وما من عظيم من العظماء في أي مجال من مجالات الحياة إلا وله من القراءة نصيب قلّ ذلك أو كثر، فالنفس كالوعاء إن لم تملأه بالمعرفة النافعة امتلأ بالعبث والباطل.

وقد كانت القراءة منذ سنوات هي الطريق لملء أوقات الفراغ وأيام العطل والإجازات، وأتذكر عندما كنا صغارًا كنا نجمع مصروفنا القليل بعضه فوق

بعض لنشتري به مجلة أطفال أو قصة صغيرة لنمتع أنفسنا بقراءتها، ونجد في القراءة لذة لا نجدها في التهام قطع الحلوى وإلا لما فضلنا شراء الكتاب عليها، وأحيانًا أخرى نستعير من المكتبة المدرسية ما نشبع به نهمنا ونسد به جوعنا فتستغني عقولنا بعد فقر وتشبع أرواحنا بعد جوع. فما أجمل القراءة وما أعظم الوقت الذي تقضيه مع الكتاب. ورغم ذلك إلا أننا لا زلنا نسمع شكوى الكتاب وأنينه، فقد استغنى عنه الكثيرون بعد ظهور بدائل أخرى وإن صح التعبير فقُل هوايات ومشاغل إذ لا بديل عن الكتاب والقراءة فيه، ورغم احتلال تلك البدائل لوقت القراءة والمساحة الممنوحة له من المكان في المكتبة إلا أننا بقليل من النظام والعزم والهمة والإخلاص نستطيع أن نعقد معاهدة صلح وسلام بين هؤلاء جميعًا فنربط بين استخدام وسائل التقنية الحديثة وبين القراءة، كإدخال كتاب مفيد قرأته وأعجبت به على الإنترنت، مع تلخيص لأهدافه وما احتوى عليه من معلومات ليعم خير قراءتك الجميع.

إن الناظر بعين الحقيقة الآن يجد أن هواية القراءة في طريقها إلى الانقراض -إن لم تكن انقرضت- من نفوس الكثيرين حتى بعض المثقفين منهم الحاصلين على شهادات علمية عالية، فهناك فجوة بين الناس وبين الكتاب لن تُسَدّ إلا بتصحيح المفاهيم بالنسبة لمكانة القراءة ومنزلتها، ولذلك قلّ مستوى الثقافة العلمية والدينية، فنحن نقرأ المقرر الدراسي أو المنهج النظري للاختبار فيه لا غير حتى نحصل على شهادة النجاح أو التخرج أو التخصص ثم بعد ذلك يكون الكتاب في طريق ونحن في طريق آخر!

إنه مفهوم يحتاج إلى تصحيح أليس كذلك؟

لقد سُرقت منا أوقاتنا وأوقات شبابنا وأولادنا، إذ أصبحت القراءة أدنى وآخر الهوايات بعد سَطو التلفاز والدش والكمبيوتر والإنترنت وألعاب الفيديو على أوقاتهم، خاصة وأن الكثيرين لا يحسنون استخدامها إذ يعطونها من الوقت معظمه إن لم يكن كله!

وهذا يحتاج منا إلى وقفة جادة وصريحة لمحاسبة النفس وإعادة ترتيب الأولويات في حياتنا وصياغة جديدة للمفاهيم، وتربية النشء على احترام الوقت، وحب القراءة والعلم، والاستفادة من التطور التكنولوجي بما يخدم مصالحهم ويصلحهم في الأرض.

ينبغي لكل منا أن يجعل في بيته مكتبة صغيرة تضم بعض الكتب النافعة ويقسمها تقسيمًا مرتبًا مبسطًا فهذا قسم للكتب الدينية من فقه وتفسير وسيرة وحديث، وهذا للكتب العلمية، وذاك لكتب اللغة والأدب والشعر، وهنا كتب التاريخ والأعلام، وهذه الناحية تضم ركن الأسرة، وتلك زاوية خاصة بكتب الأطفال وقصصهم ومجلاتهم، ولا بد من مراعاة انتقاء الكتب بعناية ودقة فليس كل كتاب يقرأ وإنما علينا اختيار الطيب منها والموثوق، وإبعاد كل ما هو ضار وملوث، ويمكن أخذ رأي العلماء الأفاضل ونصائحهم في ذلك.

إننا نريد صحوة علمية في أوساط شباب هذا الجيل وفي مختلف فئاته العمرية ولن تكون تلك الصحوة إلا بالعلم، ونريد صحوة عقلية تصحو فيها العقول من غفوتها لتعرف قيمة هذا العلم ولن يتأتى ذلك بدون القراءة الواعية والفكر السديد، ومن هنا كانت أهمية البحث العلمي والذي لن يكون بغير القراءة وطلب العلم.

فإذا ما انتهيت من قراءة هذا المقال فاستعن بالله وابدأ، و**"اقرأ باسم ربك الذي خلق"** امتثالاً لأمره، حدد لنفسك كل يوم صفحة من كتاب نافع تقرؤها باسم الله، ولا تهجر الكتاب، وكن كالنحلة الذكية النشيطة التي تحسن الاختيار فلا تحط إلا على الجميل الطيب ولا تملّ ولا تكلّ وهي تتنقل على مختلف الورود والأزهار تمسك بأغصانها وتمتص رحيقها ثم تعطينا عسلاً فيه شفاء للناس.. فتنقّل بين فروع المعرفة وأغصان دوحتها مستبشرًا، مخلصًا نيتك لله مبتغيًا وجهه بعلمك هذا، تكن له من الذاكرين.

39

مكنسة



إنها لا يصمد أمامها متطفل على أرض الدار، ولا معتدٍ على أمن أهلها الصحي، وإذا ما وقعت معه في مواجهة لا يجد منها هذا المتطفل إلا الدفاع بقوة عن سلامة الموقع الذي يحضنها والمحيط الذي يلفّها، فما إن ترَ أمامها دخيلاً عابثًا حتى تزمجر وتغضب وتبتلعه في التوّ واللحظة فتريح منه الدار وأصحابها الذين أوْلوها عناية كبيرة وحرصوا بدورهم على سلامتها!

فهل عرفتها؟

إنها المكنسة بطلة حكايتنا. وإن بيتًا بلا مكنسة يملؤه التراب، ويعلوه الغبار، وبيتًا بلا مكنسة تهجره النظافة وتسكنه الأمراض. ولا عجب في ذلك فرسولنا عليه الصلاة والسلام يقول: "**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**"(1) . والأفنية جمع فناء، وهو بهو البيت وساحته. وتروي أمنا عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان في خدمة أهله.."**يقمّ البيت – أي يكنسه – ويعين الخادم في خدمته**".

المكنسة رمز للنظافة وأداة من أدواتها الكثيرة، بل هي من أهمها، وكأني بها وهي تزهو على قريناتها السابقات حيث تميزت عليهن وصارت لها الصدارة في جهاز كل عروس، بعد أن تطورت وتنوعت أشكالها شأنها في ذلك شأن الكثير من أثاث البيت في زماننا هذا، وبعد أن كانت تتخذ من سعف النخيل أو من غيره

(1) رواه الترمذي .

من النباتات الأخرى صارت لها منزلة ومكانة، وضمانًا وصيانة، تأمينًا لمستقبلها! وأصبح منها الصغير والكبير، والأحمر والأخضر، والسريع والأسرع، لكن الجميع منها مشترك في مهمة واحدة، ألا وهي إزاحة الستار عن الغبار، والتميز عن الأتراب بابتلاع التراب.. كل ذلك بنشاط وجديّة، وسرعة وحيوية، ولمَ لا وقد زُوّدتْ بمحرك قوي يحركها، وبتيار كهربيّ يزوّدها.

لقد أوْلى الإسلام النظافة رعاية كبيرة وحث عليها، ولم يقصرها على نظافة الثوب والبدن أو البيت والسكن، وإنما جعلها أوسع من ذلك وأشمل بكثير.. فالمسلم مُطالَب بنظافة باطنه قبل ظاهره، وإلا لَمَا رفض الله تعالى من المنافقين إيمانهم المزعوم المتمثل في الاهتمام بالظاهر فقط مع ما انطوت عليه نفوسهم من رجس الكفر والشك والنفاق، وقد قال الله سبحانه وتعالى عن المشركين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ...﴾ [التوبة:28].. وهي نجاسة معنوية، والجمهور على أن هذا التشبيه لخبث اعتقادهم وكفرهم بالله. أما المسلم فإن ظاهره كباطنه وأفعاله تصدّق أقواله، فهو نظيف الثوب طاهر القلب، نظيف اللسان طيب الجنان. ونظافة باطنه تكون بتطهيره من أدران الشرك والكفر والنفاق، وتنقيته من نفايات الذنوب وأكدار المعاصي، قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدَّثر:4:5].

وقد حرص الرسول ﷺ أن يكون أتباعه من المسلمين شامة بين الأمم، فحث على النظافة في كل شيء، وحين يرى رجلاً عليه ثياب وسخة يقول: **"أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه"**[1] . ويقول معلّمًا لنا جميعًا: **"عشرة من الفطرة : قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم (عقد الأصابع)، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء،(يعني**

(1) رواه أحمد .

الاستنجاء)، والمضمضة" [1] . وها هي آيات القرآن تتنزل من فوق سبع سماوات يأمرنا الله تعالى فيها بالوضوء فيقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة:6] ، وبالغسل من الجنابة: **"وإن كنتم جنبًا فاطهروا"**، وجعل الطهارة شرطًا من شروط صحة الصلاة، طهارة الثوب والبدن والمكان.

كما أن الرسول ﷺ حثنا على أغسال مستحبة كغسل الجمعة وغسل العيدين وغسل دخول مكة والمدينة وغسل الإحرام وغير ذلك من الأغسال المستحبة التي ترتقي بنا إلى درجة عالية وكبيرة من النظافة، وهذه النظافة من الإيمان لأنها امتثال لأمر الله عز وجل، وإن من يغسل وجهه ويديه ورجليه كل يوم خمس عشرة مرة في وضوئه، هو إنسان بلا شك نظيف غاية النظافة وطاهر البدن كذلك.

وكما حضّ الإسلام على طهارة المسلم ونظافة بيته حثّ على نظافة الشارع الذي يقطنه والبلد الذي يضمه فجعل إماطة الأذى عن الطريق صدقة بل شعبة من شعب الإيمان، فقال النبي ﷺ: **"الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"** [2] .

إن خلق النظافة خلق عظيم وسمة من سمات المسلم الصادق، ولا بد أن نتخلق به ونربي أولادنا عليه ونعلمهم منذ نعومة أظفارهم أن ديننا دين النظافة وأن تقصير بعضنا في الالتزام الصحيح بهذا الخلق الطيب ليس حجة على الإسلام، وإنما الإسلام هو الحجة على الجميع، وهو لا يأمر إلا بكل خير، ولا ينهى إلا عن كل شر، وقد كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: **"إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش"** [3] .

---

(1) رواه مسلم .

(2) متفق عليه .

(3) رواه أبو داود .

40

ملابس الإحرام



حين ينظر إليها المرء تطير نفسه، وتحلق روحه في آفاق السماء، تتقلب في ملكوت الله، وتدعوه رغبًا ورهبًا علّها تحظى بالقرب وتفوز باللقاء.. وما أن يلبسها المحرم حتى يحنّ قلبه حبًّا، ويتحرّق شوقًا، ويسمو به في رحلة علوية، يشقّ معه الطريق إلى رحاب الله.. فتحيا الروح وتطهر، وتشرق النفس وتلين، وتتهلل فرحًا باللقاء الكبير، ذلك اللقاء العظيم في موسم الحج الذي حبا الله به أمة الإسلام.

فُضّلت ملابس الإحرام بأحب الألوان إلى الله.. اللون الأبيض.. فهي بيضاء نقية.. طاهرة طهارة ظاهرة وجليّة.. وما أجمل بياضها وطهارتها حين تمتزج بنقاء القلوب وطهارة السرائر، فحين يتجرد الحاج من ثيابه المعتادة فإنه يجرّد نفسه من هواها ورقّها، وعُجبها وذنوبها، فإذا هي الأخرى بيضاء نقيّة.. وحينها تحلو المناجاة وتتصل الأرض بالسماء عبر تلبية الحجيج ودعاء المشتاقين من ضيوف الرحمن، وتتصدع الأرض فرقًا وطربًا، وتهتز أركانها من كثرة الملبين عبر أثيرها وفي أنحائها وأرجائها المختلفة، والكون كله يشارك وتختلط الأصوات ويناجي الجميع ربهم مناجاة العبيد الخائفين.. لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.. فتنخلع القلوب.. ليس خوفًا من ربها فحسب بل شوقًا للُقياه وطمعًا في قربه ورضاه.. فقد ذكّرها ذلك الموقف باليوم العظيم.. يوم الحشر ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفّفين:6].. فلبّيك اللهم لبّيك. قد سوّيتَ في هذا الحشد العظيم بين المأمور والأمير، والصغير والكبير، والغني والفقير.. بين الأبيض والأسود، وبين الأعجمي والعربي،

فالكلّ عندك سواسية، والكلّ عبيدك، والبيت بيتك، والحرم حرمك، والملك ملكك، ولا فضل لأحد على أحد، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى بعد أن جعل الإسلام الناس سواسية كأسنان المشط.

قبل أن يلبس المحرم ملابس الإحرام، عليه أن ينظف بدنه ويزيل شعثه ويغتسل.. وملابس الإحرام بالنسبة للرجل إزار يلفه على وسطه، ورداء يضعه على كتفيه، ونعل لا يغطي الكعبين، ولا يغطي المحرم رأسه ولا وجهه،ويستحب أن يكون الإزار والرداء أبيضين لقول رسول الله ﷺ: **"البسوا ثياب البياض فإنها أطيب وأطهر وكفنوا فيها موتاكم"** (1) .. أما المرأة فتلبس ثيابها المعتادة وتغطي رأسها، ولا تغطي وجهها ولا كفّيها، وملابس إحرام المرأة بتلك الصفة أسترَ لها وأيسر.

إن هذه الملابس البيضاء رمز للطهر والنقاء، كما أنها علامة على التسليم لله الملك القوي المنتصر، وهي تنطق بالصلح والوفاء بالعهد مع الواحد الجبار، والسلام والأمن وحفظ الذمم مع عباده، وقبل أن يضعها المحرِم على جسده فإنه ينزع من قلبه ما التصق به من غبار الطريق الطويل في حياته، ويخلع منه حب الدنيا، ويتجرد من متاعها ولو إلى حين.. لذا فإنه ينبغي أن تكون هذه الثياب من كسب حلال طيب يكون من عمل يديه لا مغصوبة من أحد، لأن الحاجّ يفد على الله مالكه، ولا ينبغي للعبد أن يدخل على سيده ومولاه وهو مخالف آداب الدخول عليه، حتى إذا ما مدّ إليه اليدين أعطاه ما يريد بل وزاده وأكرمه.

لقد لبس رسول الله ﷺ ملابس الإحرام تلك والتي تتيه فخرًا أن لامسَتْ جسده الشريف الطاهر، لبسها النبي ﷺ وحجّ حجته المعروفة بحجة الوداع، وما أن دخل مكة ورأى البيت حتى دعا ربه تعالى لكل من يحجّ ويعتمر إلى يوم الدين فقال: **"اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابة وزد من عظّمه ممن حجّه واعتمره تشريفًا وتكريمًا ومهابةً وتعظيمًا وبرًا"** (2)..

---

(1) رواه أحمد .

(2) رواه الطبراني .

كما علّم الناس مناسكهم وبيّن لهم سنَن حجّهم، وهو يقف بينهم بعد أن أدّى الأمانة ونصح الأمة وربّى جيلاً من المسلمين، وها هو يرى نتيجة جهده وحصيلة تعبه وكفاحه سنين عددا في الدعوة إلى الله، والآن وقد دخل الناس في دين الله أفواجا، ها هو حبيبنا ﷺ يقف فيهم خطيبًا يوم عرفة وقد أقرّ الله عينيه بالفتح والنصر المبين، ودحر الشيطان الرجيم وأتباعه من أهل الكفر والمشركين، يقف الحبيب ﷺ ويقول لجموع الحجيج ولكل المسلمين إلى يوم الدين: **"إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"**[1] ... ويحذرنا ويدعونا إلى اليقظة المستمرة ومحاسبة النفس حفاظًا على الدين فيقول: **"أيها الناس: إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدًا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم"**.. ويوصي بالمرأة التي طالما ظُلمت قبل الإسلام ويقرّ لها حقوقها في العيش كإنسان مكرّم فيقول: **"اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله"**[2] .. كما يدعو إلى التمسك بكتاب الله قائلاً : **"وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله وسنة رسوله"**، ثم يختم خطبته العصماء ببيان حقوق الأخوة ويرسي قواعدها الصلبة المتينة فيقول: **"اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمُنّ أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامريء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمنّ أنفسكم، اللهم هل بلغت"** ؟..... اللهم اشهد.

نعم.. لقد بلّغ والله فصدَق في بلاغه، ونشهد أنه أدى الأمانة ووفّى.. فصلّ اللهم عليه وعلى آله وصَحبه، واجزه عنا جميعًا خير ما جزيت به نبيًا عن أمته، واجمعنا معه في الفردوس الأعلى، ولا تحرمنا صحبته.

---

(1) رواه أبو داود وابن ماجه .

(2) رواه أبو داود .

41

منبّـه



هو أداة التنبيه والتذكرة لعمل شيء ما، وقد كنا ولا زلنا نستخدمه لينبهنا ويذكّرنا خاصة بوقت صلاة الفجر حينما نضبطه فنستيقظ على دقاته المنبهة الطيبة وهي تدعوك إلى الفلاح بعد أن دخلها صوت الأذان المحبب للنفوس المؤمنة والذي أصبح يزين معظم المنبهات.

وكأني بالمنبه الآن يحس مع دقاته بالخطر ويتوجس خيفة من الأيام القادمة خشية الاستغناء عنه فيشكو هو الآخر كغيره من تغير الأشياء حين يستبدله البعض بجرس التليفون المحمول رغم ما في ذلك من خطر على صحة حامله إذ عادة ما ينامان معًا في غرفة واحدة!

وبطلنا المنبه يتعجب كذلك لتغير نمط الحياة واختلاف الأوقات عليه فما عهد منا طيلة عمره إلا الجدّ والعمل من معظم مالكيه، الذين كان الوقت عندهم له قيمته واحترامه، والموازين لها نصابها الذي لا تتعداه إلى غيره، فلماذا يشكو المنبه؟ وممن يشكو؟

إنك تلحظ تلك الشكوى وتحسها مع المنبه حين يحل وقت الإجازة في فصل الصيف بحرّه وطول نهاره، فينقلب الليل عند الكثيرين إلى نهار حتى ساعة متأخرة منه، ويتحول النهار إلى ليل يصل ربما إلى وقت الظهر أو بعده، وفي الحالين يصرخ المنبه ويصيح معلنًا وقت الصلاة أو طلوع النهار وما من مجيب أو مستمع، إذ الأجساد من طول السهر منهكة، والنفوس من نوم النهار كسولة متراخية، وهذا التغيير ليس بالأمر الهين، فقد قضى الله تعالى وقدر أن يكون الليل

للنوم والسكن وراحة البدن، والنهار للسعي وطلب الرزق وابتغاء الفضل من الله، وإعمار الأرض بكل نافع ومفيد للإنسانية، فقال ممتنًا على عباده: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ:9:11] وبيّن أن هذه نعمة عظيمة فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر:61].. ومن المعلوم أن النوم أثناء النهار والسهر طوال الليل يؤدي إلى اضطراب في عمل الساعة البيولوجية في الجسم وذلك له الأثر السيء على التمثيل الغذائي داخل الخلايا، وقد لفت الله أنظارنا ودعانا للتفكر في تلك الآيات الربانية العظيمة فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس:67]. وليس من المعقول أن نمزج بين أوقاتنا ونخلط بينها فإن لله تعالى عملاً بالنهار لا يقبل منا عمله إلا في النهار، وعملاً بالليل لا يقبله إلا إذا عملناه في الليل. ولقد امتدح الله عباده الذين يسهرون في طاعته فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:64] . . سهرًا لا يضيع عليهم فريضة الفجر ولا ينامون معه طيلة نهارهم، وقد كان المسلمون الأوائل يسهرون بالليل لكنهم ما كانوا ينامون النهار مثلنا، وهناك فارق كبير بين سهرهم وسهرنا، ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 17 -18].

فهل جميعنا كذلك؟

بالتأكيد يوجد منا من يحذو حذوهم فتجده يقوم مبكرًا التماسا للبركة وتحريًا لدعوة رسول الله ﷺ حين قال: **"اللهم بارك لأمتي في بكورها"** (1) ، قد أدى فريضة الفجر في جماعة بالمسجد بعد أن أقام بعض ليله، فأصبح طيب النفس

(1) رواه الترمذي .

نشيطًا، وهذا حسن وطيب، لكن البعض منا أيضًا خاصة من الشباب يقضي الواحد منهم شطر ليله هائمًا على وجهه بين الطرقات، أوجالسًا أمام شاشات الفضائيات، أو لاهيًا لاغيًا مع اللعب بالورق أو ألعاب الفيديو مع رفقائه-وما هم برفقاء- أو في مقاهي الإنترنت، وإلا فمع المحمول!

وهذا هو غبن النفس بعينه إذ ضيعنا عليها فرصة الاغتنام التي حث عليها رسول الله ﷺ حين قال: **"اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك"**[1] . وليتنا إذ أصابنا الأرق والسهاد جعلنا منه نعمة تفوق حلاوة الرقاد وذلك بتهجد وخشوع، وطول قيام وركوع، ودعاء بخضوع، واستغفار بالأسحار، فرارًا إلى الله، وهربًا من النار. فإن لم نفعل ذلك نمنا فكان النوم عبادة أيضًا إذ حفَظنا الله به من الآثام مع صدق النية والتوجه إلى الله.

وعلى الجانب الآخر تجد فئة أخرى وشريحة من الأزواج أضافوا إلى غبن نفوسهم ضياع حقوق غيرهم والواجبات الخاصة بالأهل والأبناء والزوجات، إنهم يسهرون طويلاً ويقضون ليلهم مع الأصدقاء ويتكرر ذلك منهم كثيرًا حتى يصبح عادة تضيع معها حقوق الزوجات بالليل، ورعاية الأبناء بالنهار، وطاعة الوالدين فيما بينهما، أمَا علموا أن هذه عادة سيئة تشارك على المدى البعيد في تقويض وخلخلة جدران بيوتهم وعشهم الزوجي دون أن يشعروا، وأنهم يريقون ماء المحبة بأيديهم شيئًا فشيئًا حتى يخلو منه الإناء!

ويبذرون بذلك بذورالنفور والشقاق، وإن اعترضت إحداهن على زوجها قد ينهرها ويقول لها إنه رجل حُرّ يفعل ما يريد ويصنع ما يشاء، بل قد يتعدى عليها أحيانًا بالضرب والإيذاء!

فهل هذه حرية حقًا؟!

---

(1) رواه الحاكم .

وهل من الرجولة ضياع الحقوق وإهدار الأوقات؟!

وكذلك قد يحدث الخلل من بعض الزوجات فتذهب إلى بيت الأسرة وتسهر معهم حتى قرب الفجر تاركة بيتها وزوجها الذي سيهرب بالتالي من الوحدة إلى السهر مع الأصحاب،أمَا تفكروا جميعًا في قوله ﷺ : **"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه"** (1) .

وهلا أعدوا الإجابة للسؤال؟

إننا نحتاج إلى وقفة صادقة مع النفس، وعودة حميدة إلى نبع الدين الحنيف الذي راعى فطرة الناس واحتياجاتهم النفسية والبدنية فأمر بحفظ الصحة العامة للبدن وجعلها من مقاصد شريعتنا السمحاء، وحرم كل ما من شأنه الإضرار بها أو إتلافها، فجعل للجسم حقًا وللروح حقًا، وأعطى للزوج حقًا وللولد حقًا، ووازَن بين الحقوق والواجبات خشية الغبن والخسارة. قال النبي ﷺ: **"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ"** (2) . لذا فقد وجب علينا أن نرتقي بأنفسنا ونأخذها بأسباب قوتها ونتعرف على ما يضرها فنبتعد عنه حتى ولو كان يسيرًا في ظننا كالسهر الطويل ليلاً أو النوم الكثير نهارًا، وحبذا لو عمل كل منا لنفسه برنامجًا يوميًا يتعاون فيه الزوجان، يبدأ من طلوع الفجر وينتهي بصلاة العشاء، ثم النوم على ذكر وطاعة ومحاسبة واستغفار، ليحيا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

[النحل:97].

---

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه البخاري .

42

المهد "سرير الطفل"

لقد تخرج من تحت لحافه العلماء والعظماء والمشاهير، القادة منهم والفرسان المغاوير.. وكل الناس مَن مَلكَ منهم الدينار والدرهم والقناطير.. إنها مرحلة لا بدّ منها في حياة الإنسان، وهي أول الطريق لا يتخطاها أحد ولا يتعداها مخلوق، فالكل يولد صغيرًا ثم يكبر شيئًا فشيئًا إلى أجل معدود، ترعاه عين الله وتحرسه عناية الرحمن التي لا تخطئ ولا تغيب.



ألم تنظر إلى القمر حين يولد ثم لا يلبث أن يكبر ثم يأفل ويرحل كالغريب.. ألا ترى الشمس وهي تشرق على استحياء حتى تكبر وتكبر ثم تنحني لأمر الله وراء الأفق عند المغيب.. وبذرة الحّب وهي وليدة إذ تنمو في الأرض وتورق فإذا هي بستان بهيج وعجيب .

هكذا أنت أيها الإنسان حين صّورك الله في الأرحام وحباك بفضله وإنعامه وغذاك بكرمه وامتنانه وجعل منك بشرًا سويًا سليم الأعضاء كامل البنيان، كل ذلك مُذْ كنت نطفة صغيرة إلى أن صرتَ مولودًا تتقلب في المهد وتعيش في الوجدان، ولولا أن الله قد ألقى في قلب أمك المحَبّة لك وأنت بين جوانحها، والشفقة عليك وأنت تتنقل من طور إلى طور، ومن حال إلى حال، وملأه بالحنان والإحسان، لولا ذاك ما رعاك بعدها إنسان.. وها هو رسولنا الحبيب ﷺ يقول: **"إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد"** [1] .

(1) رواه البزار .

ويأتي المولود الحبيب وتأتي معه الأحلام.. سيكون ابني هذا عابدًا من أخلص العبّاد.. وعالمًا معلّمًا يملأ بعلمه عقول العباد، أو طبيبًا حاذقًا يذهب الله على يديه كثيرًا من الأمراض، ومهندسًا بارعًا يشق الطرق ويصمم البيوت والعمارات، وندعو بكل إخلاص فنقول ربنا احفظ مولودنا هذا من عيون الحسّاد.. جميل جدًا ومهمّ أن يحلم الإنسان فما ذاك إلا سبيل لإيجاد هذا الحلم وتحقيقه في أرض الواقع، وكل تلك الأحلام جميلة، فما السبيل لتحقيقها؟

إن المرأة حين تحمل جنينها في رحمها تحرص على عدم إيذائه بأي نوع من أنواع الإيذاء ويحرم عليها ذلك وكأن في هذا بلاغًا لها أنْ قد خُلقتِ لأمر عظيم.. لإظهار المعجزة الإلهية في خلق الإنسان، وأنك لا تعيشين لنفسك فقط فأمامك أمر جلل وسوف يتخرج على يديك الكثير الطيب من عباد الله، فيستمر عملك ويمتد عطاؤك بعد الممات ويظل موصولاً بفضل الله، ما أديتِ الرسالة وحفظتِ الأمانة المتمثلة في قول رسوله ﷺ : **"ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه"** [1] . إنها مهمة الحفاظ على بريق تلك الفطرة ونصاعتها ورونقها، والسموّ بها إلى أعلى المقامات.. وكما يقول النبي ﷺ لنا: **"كلكم راع ومسئول عن رعيته"**[2] .

إن كثيرًا من الأمهات يخطئن حين تظن الواحدة منهن أن مهمتها مع طفلها أن ترضعه وتنظفه وتزيل عنه الأذى فحسب، وكذلك بعض الآباء يظنون أن ما عليهم تجاه أولادهم هو جلب الطعام لهم والنفقة عليهم وإجابة مطالبهم المادية، ويظن الجميع أن ذلك هو غاية التربية ومنتهاها، وعظيم المحبة التي وصلت أعلاها، وما درَوْا أن دورهم هو تنشئة نسمة طاهرة على حب الله وتوحيده، وعبادته العبادة الصحيحة المتمثلة في القيام بفرائضه والتأدب بأخلاق دينه، وتعمير الأرض بما ينفع الناس، ودعوتهم إليه وإلى مكارم الأخلاق، إنهم يحسنون

(1) رواه البخاري .

(2) متفق عليه .

إلى أولادهم وإلى مجتمعاتهم حين يفعلون ذلك، والمسلم أينما حلّ بمكان نفع مَن فيه، فهو العضو الفعال الخلوق المتدين.

والإسلام دين شامل لذا ينبغي أن يكون الاهتمام بالطفل شاملاً كذلك، فيشمل الجانب الروحي، والخلقي، والعقلي، وكذلك الجانب الجسمي، والاجتماعي.

وفي هذا يقول الإمام الغزالي رحمه الله : اعلم أن طريق تهذيب الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند الوالدين، وقلبه جوهرة طاهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه والداه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه، ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء.

فإذا وقفت أيتها الأم الحنون أمام سرير طفلك وامتدت إليه يدك لتهدهده فاعرفي له حقه من قبل أن يكبر هوَ ومن قبل أن تحاسَبي أنت، واعلمي أن: **"ريح الولد من ريح الجنة"** (1) .

وأنت أيها الوالد المحب إذا نظرت إلى المولود في مهده فاشكر الواهب على ما وهب وتفضّل، وكن له خير مربي وأصدق قدوة، تقرّ به عينك ويسرّك ويَدُمْ عليك فضل ربك.

قال رسول الله ﷺ : **"إذا نظر الوالد إلى ولده فسَرّه كان للولد عتق نسمة".**

قيل :" يا رسول الله وإن نظر ثلاثمائة وستين نظرة؟ قال: الله أكبر" (2) .

---

(1) رواه الطبراني .

(2) رواه الطبراني .

43

ميـــــزان

تجده عادة في المطبخ أو في غرفة الرياضة، أما وجوده في المطبخ فلِكَيْ توزن به مقادير الحلوى وبعض الأكلات حيث أن منها ما يحتاج إلى وزن دقيق لنحصل على نتائج طيبة وخاصة عند صنع الكيكات والحلويات.. ووجوده في مكان الرياضة حتى نزِنَ أجسامنا ونعرف ما إذا كان وزنها يتناسب مع طولها أم لا، وذلك حفاظًا على صحتنا العامة بعد أن عرف الجميع أضرار الوزن الزائد وخطره على الصحة وارتباطه بكثير من الأمراض، وهذا الحرص منا أمر طيب وقد حثنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن نأخذ بأسباب القوة فقال: **"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز.. "**[1] .



ذكرت كلمة (**الميزان**) في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة.. وقد أهلك الله تعالى قوما كانوا يطففون الميزان وينقصون منه، كما أنزل سورة باسم (**المطففين**)، وافتتحها سبحانه بالويل والوعيد والتهديد لهم، لذا فإن كلمة (**ميزان**) توحي بالعدل والراحة للمقسطين، وتنذر بالويل والهلاك للظالمين القاسطين، وهي كلمة لا بد أن يقف المرء أمامها طويلا ولا يمر عليها مرور الغافلين اللاهين.

والميزان التقليدي ذو الكفتين شعار للعدل، لذا فإن صورته تتصدر المنصة في قاعات المحاكم تذكرة للقضاة بالعدل الواجب عليهم، وقد أمر الله تعالى الناس بالقسط فقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن:9] .. على أن

---

(1) رواه مسلم .

بعض الناس وبعض الدول بما أوتيت من قوة وبأس ترجح دائمًا كفة الميزان بما يناسب مصالحها ولو أدى ذلك إلى هلاك غيرها أو ظلمهم فتزن بمكيالين!

حين نتفكر في ذلك الميزان نتذكر قول رسول الله ﷺ :"**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا"**"[1] ..

إن هذه الأجساد التي كان أصحابها يأكلون ويشربون، ويلعبون ويمرحون، ويضحكون ملء فيهم، ستوزن بميزان العدل يوم الحساب ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:88-89].. وإن كان المرء منا يقف كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر على أرض ميزانه في البيت ليزن جسمه فإنه سيقف على ميزان الحق يوم القيامة.. قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء:47] .. وستوزن أعماله، والسعيد من ثقل ميزانه.. فهل مقياس الميزان واحد في الدنيا والآخرة؟

إن بعض الناس يقيسون الآخرين بميزان المال والجاه والمظهر، لأنهم في الدنيا، أما في الآخرة فالميزان مختلف، والمقياس وضحه رسول الله ﷺ حين ضحك القوم من دقة ساقي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، فقال لهم: "**والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من جبل أحد**" [2] ..

نعم.. إن الميزان يختلف تمامًا يوم القيامة، فقد يستطيع الإنسان أن يطفف في ميزان الدنيا وقد ينجو من اللوم أو العقاب أو التوبيخ، أما يوم القيامة فلا مجال لذلك التطفيف، وإنما يوزن الناس بما يستقر في نفوسهم من إيمان وصدق ويقين، فليفتش كل منا عن ذلك عندما يضع قدميه على الميزان، وليزن أعماله وهو يزن جسمه، وليعلم أنه موزون هو وأعماله وصحائفه من حسنات وسيئات، وإن كان

---

(1) رواه البخاري .

(2) حسنه الألباني .

منا من يزنها فيستوفي لنفسه قدرها ويرفعها فوق منزلتها ولا يتهمها أبدًا، أما شأنه مع أعمال الغير فإنه ينقص من قدرها ويحقر من شأنها وأهميتها فيطفف فيها كما يسرق بعض البائعين حين يزنون للناس بضاعتهم! وهؤلاء جميعهم مطففون غير عادلين، وقد ظلموا أنفسهم قبل غيرهم، وتوعدهم الله تعالى بالويل وقال﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطفِّفين:1] .

دلّت السنة على أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:103].

قال القرطبي: قال العلماء: "إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها".

الناس عند الميزان: من ثقلت موازينه ولو بحسنة واحدة فقد فاز وأفلح، ومن خفت موازينه ولو بسيئة واحدة خاب وخسر، ومن تساوت حسناته مع سيئاته فأولئك أصحاب الأعراف ويكونون على جبل بين الجنة والنار، ثم يتغمدهم الله برحمته.

بم يثقل الميزان؟

- يثقل بكل عمل يقربك من الله تعالى..

- بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله، والعمل بمقتضاها، وكما قال النبي ﷺ : **"ولا يثقل مع اسم الله شيء"**(1) .

- **بالحمد:** قال رسول الله ﷺ: **"الطهور شطر الإيمان. والحمد لله تملأ الميزان"** (2) .

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه مسلم .

- **بالتسبيح:** لقول النبي ﷺ: **"كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"**[1] .

- **بالصبر على موت الولد** : قال رسول الله ﷺ:**"رأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه"** [2] .

- **بحسن الخلق** : قال رسول الله ﷺ :**"ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق"** [3] .

- **بوزن الأعمال بميزان العدل مع الجميع** :

مع الوالدين : قال الله تعالى: "﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:15].

مع الأبناء : قال رسول الله ﷺ: **"فاتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم"**[4] .

مع الزوجة : قال رسول الله ﷺ: **"من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل"**[5] .

مع الناس : قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل:90].

مع الأعداء : قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ [المائدة:8] .

مع الورثة : قال رسول الله ﷺ: **"من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين"** [6] .

مع الضعفاء : قال رسول الله ﷺ: **"وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة"** [7] .

---

(1) رواه البخاري .
(2) رواه الحافظ الهيثمي .
(3) رواه الترمذي .
(4) متفق عليه .
(5) رواه أبو داود .
(6) متفق عليه .
(7) رواه أحمد .

مع الأيتام: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ [النساء:10] .

في البيع والشراء: قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

[الأعراف:85].

في الوصية: قال النبي ﷺ: **"إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضارّان في الوصية فتجب لهما النار"** (1) .

مع الحيوان: قال النبي ﷺ: **"دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"** (2) .

فلنبادر بالتوبة والمحاسبة كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتهيأوا للعرض الأكبر.



(1) رواه الترمذي .

(2) متفق عليه .

44

هاتف "تليفون"

مَن كان يصدق أنه سيأتي يوم يكلم الإنسان فيه مِن مكانه شخصًا بعيدًا عنه في بلده أو في بلد آخر، وذلك من خلال قطعة من البلاستيك قد تكون في حجم الكف أو حجم الإصبع؟!



لقد كانت هذه القطعة العجيبة خلاصة تجارب ومحاولات عديدة حتى صارت إلى ما هي عليه الآن وانتهت إليك وإليّ، لتتحدث منها في ثوان معدودة في أي وقت تشاء، وفي أي ساعة من ليل أو نهار، وفي أي مكان تريد، ومن يدري فلعلها تتطور فتكون شيئًا آخر بعد حين.

إن كل ما نرى ونستخدم من تكنولوجيا حديثة لم تكن موجودة عند أسلافنا الأوائل، لكنها كانت موجودة في علم الغيب منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض، وهي دلالة عظيمة على عظمة الخالق سبحانه الذي كرم الإنسان بالعقل وهداه لخدمته وسخر له ما في الكون ليستعين به على رحلته في هذه الحياة ويجعل منه زادا للدار الآخرة، ولما كانت الصنعة تدل على صانعها، والهاتف يدل على رقي الإنسان وعقله، فإن العقل البشري تلك المعجزة الخارقة تدل على واهب العقل والحياة سبحانه وتعالى، الذي كرمنا به وفضلنا على كثير من مخلوقاته تفضيلاً.

أول من اخترع الهاتف العالم الأميركي **ألكسندر** بل وكان ذلك في سنة 1876م، ولا شك أن الهاتف أصبح الآن من ضروريات الحياة ولا يخلو منه بيت ولا جَيب! فقد تطورت أنواعه حتى صار منه الهاتف المحمول أو النقال، الصغير منه والكبير، ولا ضير في هذا التطور فإنه حسن لكنّ الأحسن منه أن تعرف كيف تسخره لخدمتك وتجعل منه نعمة لك لا نقمة عليك، فتحسن استخدامه وتوفر به

من وقتك ما تستغله في عمل صالح، إذ أن البعض قد يتخذونه وسيلة للتسلية وقتل الوقت كما يحلو لهم، فيكون سبيلهم للَغو القول والغيبة والنميمة والكذب، والتحدث إلى الجنس الآخر بهدف المعاكسة أو المغازلة أو تحت أي مسمّى يمليه شيطان النفس والهوى عليهم، أضف إلى ذلك اختلاف رناته وتنوعها حتى أصبحت على شكل أصوات موسيقية صاخبة، وأغاني لا خير فيها ابتلينا للأسف بها فاقتحمت علينا أماكن خلوتنا في صلاتنا بالمساجد، ودور العلم والمدارس والجامعات، فقطعت الخشوع وذهبت بالتركيز، وفي ذلك إفساد كبير للقلب، وقد قال رسول الله ﷺ: **"لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"**(1).

وقد فهم الصحابة ذلك وحفظوا ألسنتهم، فكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: يا لسان قل خيرًا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم. كما فقهوا الأدب مع اللسان فكانوا يقولون: إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا همّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه. وكانوا يكرهون فضول الكلام ويعدّونه كل ما عدا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بدّ لك منها، ويقولون أتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد، أما يستحيي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

إن العاقل تزيده النعم تقربًا من ربه لا هربًا منه أو بُعدًا عنه، وكلنا مسئول عما أنعم الله علينا به من تلك النعم، ويمكنك أن تستخدم الهاتف في قول الخير من الأمر بالمعروف، أو تلاوة القرآن، أو النصح، وأعرف بعض الصديقات يتخذن منه وسيلة لتسميع ما حفظنه من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بدلاً من

(1) رواه أحمد .

ضياع الوقت، وكذلك في صلة أرحامك خاصة الذي تبعد عنك داره، والسؤال عن أحوال إخوانك، وما شابه ذلك، فإذا سولت لك نفسك قول السوء أو تضييع دقائق العمر النفيسة في فضول القول فتذكّر نظر الله إليك ومكان الملائكة الكتبة بين يديك، ولو نظر كل منا إلى حاله حين يتكلم وما يؤول إليه أمره من حفظ لأقواله جهرها وهمسها، جدها وهزلها، قليلها وكثيرها، لحفظ لسانه وخزنه إلا عن الخير.. ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:17-18].. وما تنفقه على هذه المكالمات الهوائية عديمة الفائدة أطعِم به مسكينًا أو اكفل به يتيمًا أو أحسن به إلى محتاج.

والهاتف ينقلك إلى بلاد بعيدة لم ترها عيناك ويقصر أمامك المسافات وتستطيع من خلاله إيصال رسائل المحبة والتذكرة لإخوانك وأصدقائك في أي مكان، وهو بلا شك يوفر عليك الوقت حين تستخدمه في شراء ما تحتاجه وأنت في بيتك، ومع ذلك فإن له آفات خاصة بعد ظهور الهاتف النقال أو كما يسمونه المحمول حيث يحمله صاحبه في كل مكان إذ أصبح كثير من الشباب يقضون أوقاتهم معه حتى في وسائل المواصلات وبدلاً من أن كان الواحد يمسك بكتيّب صغير أو جريدة يقرؤها أثناء الطريق ليقصر عليه صار يلعب بالهاتف أو يرسل الرسائل التي لا طائل من ورائها إلا تضييع الوقت الذي لا ندرك أهميته إلا بعد فوات الأوان. وكما قيل: والوقت أنفس ما عنيت بحفظه:وأراه أسهل ما عليك يضيع .

لذا فقد قال **الحسن البصري** -رحمه الله- : **"يا ابن آدم نهارك ضيفك فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك، وكذلك ليلتك "**.

ومن آفات الهاتف أن البعض جعل منه وسيلة للتجسس على الآخرين من عباد الله وخاصة بعد أن زودت الأنواع الحديثة منه الآن بالكاميرا التي تلتقط

الصورة ممزوجة بالصوت إن أردت، قد يحدث ذلك في حياتنا العامة أو مناسباتنا السعيدة في عرس مثلاً والنساء بكامل زينتهن فتأتي مَن تصوّر العروس – عن طريق الهاتف النقال الذي تملكه- دون استئذان وتفاجأ العروس فيما بعد بذلك! وقد تكون جالسًا في أي مكان ولا تدري أن هناك من يتجسس عليك بكاميراته الشيطانية ناسيًا أوغافلاً أن هناك كاميرات ربّانية تسجل بالصوت والصورة ما يفعله ذلك الجاسوس المتطفل، ومنهم من يستغله كغيره من الوسائل في التنصّت على الناس بحجة حفظ الأمن كما يزعمون فتتجسس الدول القوية على من تشاء، وتتجسس أجهزة المخابرات على من تريد، لكن الغاية لا تبرر الوسيلة وقد حرم الله التجسس فقال:**"ولا تجسسوا"**، وجعله انتهاكًا لحرمات الناس وهتكًا لأعراضهم.

ومن آفات الهاتف المحمول لهاث البعض وجريهم وراء الموضة في أنواعه، واتخاذه علامة على مستوى حامله الاجتماعي والطبقي، والتفاخر بذلك-وخاصة من قبل الشباب- أمام أقرانهم فتحوّل الغرض الأساسي من اقتنائه إلى غرض آخر أدى إلى التباهي الذي نهينا عنه، وليتنا صنعناه نحن بأيدينا، إذاً لراجتْ تجارتنا وربحتْ، وكان المال المبذول فيه مِنّا وإلينا.

ومع كل ما ذكرنا من آفات إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر ما لهذا الهاتف من مزايا كثيرة تجعله نعمة عظيمة تستحق شكرًا عظيمًا يماثلها، المهم أن تحسن له الاستخدام، وإذا ما دعاك هذا الهاتف لارتكاب المحظورات فلا تستجب له، واجعل هاتف الخير في نفسك منه أقوى.

المراجع الرئيسية

صفوة التفاسير، مختصر تفسير ابن كثير لفضيلة الشيخ محمد علي الصابوني .

تفسير العلي الكبير لاختصار تفسير ابن كثير فضيلة الشيخ محمد نسيب الرفاعي.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم..الأستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي.

الحلال والحرام في الإسلام لفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي.

رياض الصالحين للإمام النووي.

الأذكار للإمام للنووي.

إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران.

لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للإمام لابن رجب الحنبلي.

وصايا الرسول.. الشيخ طه عبدالله العفيفي.

الإيمان.. الدكتور محمد نعيم ياسين.

فقه السيرة.. لفضيلة الشيخ محمد الغزالي.

فقه السيرة.. الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة.. الدكتور محمد بكر إسماعيل.

فقه السنة للشيخ السيد سابق.

حسن العشرة.. الشيخ محمد حسان.

عودة الحجاب جـ2 الشيخ محمد المقدم.

من أجل تحرير حقيقي للمرأة.. الأستاذ محمد رشيد العويد.

تربية المراهق في رحاب الإسلام للأستاذ حامد النصر والأستاذة خولة درويش.

مختار الصحاح.. الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

البحر الرائق في الزهد والرقائق.. الدكتور أحمد فريد.



الفهرس